حبيب

١١٧١

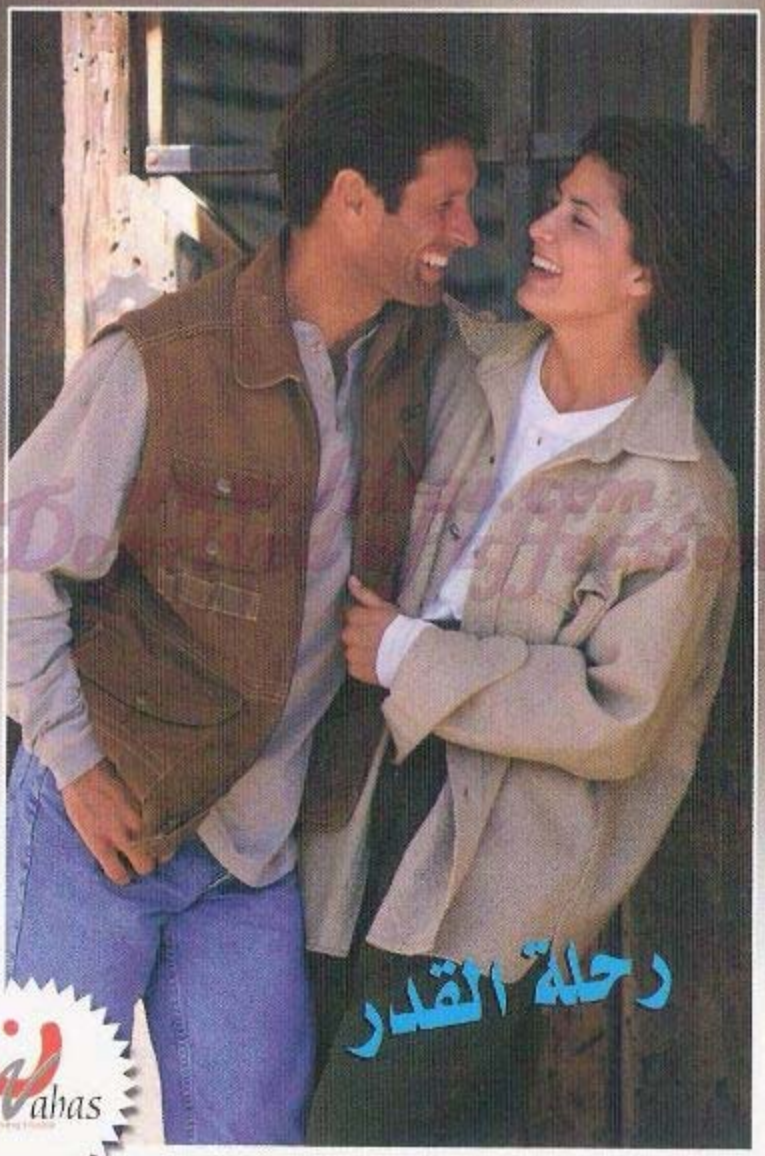

رحلة القدر

صادر عن دار م. النحاس

رحلة القدر

شعرت كاترين بالحزن والضياع لخسارتها مزرعة عائلتها. هربت الى جنوب اميركا لمساعدة المزارعين هناك ولتخفف من شوقها لتلك الارض. لكنها ادركت ان العمل الجاد والشهادة الجامعية ليسا بكافيين. هم بحاجة الى شاحنة لنقل الانتاج الى السوق. وهذا يعني طلب قرض من المال... يبدو مدير المصرف جوشوا بنتلي رجل اعمال مهم، لكن مظهره القاسي هذا يخبىء حالماً. اتى الى جنوب اميركا ليجد منجماً للفضة الذي سمع به وهو صبي صغير، لكن لقاءه بكاترين جعله يكتشف منجماً لا يقدر بثمن. انها الحلم بالحب وبالمنزل الذي لم يحصل عليهما يوماً. لكن فقط ان استطاع اقناعها بأن تثق به...

www.liilas.com
Deprived of affection

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

52-87000-34707-5

رحلة القدر

قالت كاترين محدثة جوشوا:«ترى جيكيندا انك املي الاخير، وهي خائفة من ان ادعك ترحل.»

«لمَ لم تخبريها ما هو رأيك في موظفي البَنوك قبل ان تعلق آمالها؟

الم تخبريها اننا نطبق على النساء البريئات والاطفال لنأخذ منهم منازلهم؟»

«لم أقل ذلك مطلقاً. اعلم انك تفعل ما يمليه عليك عملك. فقط تمنيت...»

«تمنيت لو ان ليس هذا عملي. احياناً هذا ما اتمنّاه انا ايضاً. لو انني مزارع، لكنتِ عانقتني اليوم، اليس كذلك؟»

المقدمة

اشعة الشمس لا ترحم في شهر تموز (يوليو) في الوادي الكبير في كاليفورنيا. وحتى كاترين لوغان، والتي امضت كل صيف من عمرها البالغ السادسة والعشرين هناك، شعرت بالحرارة الجافة تحرقها وهي مرتدية قميصا قطنية ناعمة وبنطال قصير. سارت بسرعة لتجلس على مقعد تحت مظلة اقامها القائمون على المزاد العلني.

رأت هناك وجوها لعائلات تعرفها، لكنها كانت تتجنبها تماما كما كانوا يتجنبون النظر اليها فهي لن تستطيع ان تنظر في اعينهم، فقد باع والديها المكان. الجفاف قضى على الكثير من آمال الناس، فكان هناك حالات من الطلاق، وحتى الانتحار في المنطقة المجاورة. عمل والديها على البيع فقط ولم يكونا الوحيدين بعملهما هذا.

خلال السنوات الثلاث الماضية راقبت كاترين الحقول التي كانت تعمل بها تموت من الجفاف ولاحظت اثار القلق على وجه والدها وهو يستدين اكثر ويغرق اكثر في الديون. وعندما وصل انذار الافلاس، ذهبت الى البنك بنفسها، طالبة منهم لتمديد مدة القرض لاعطائهم فرصة جديدة، لسنة فقط، موسم واحد لتعود المزرعة الى سابق عهدها. لكن الجواب كان الرفض.

استدارت على كرسيها، عندما لمحت الرجل الذي رفض طلبها، العجوز كاروس غرانت، والذي نظر اليها

بانزعاج على الفور حدقت امامها، غير قادرة على التعبير عن غضبها منه ومن البنك. بعد مرور عدة دقائق ابن الصيدلاني، روني، جلس على المقعد بجوارها. شعرت بنظراته عليها، فقررت ان تتجاهله، فهي مصممة ان لا يزعجها احد. وان كان هناك شيء اسوء من التجاهل، فهو الشفقة.

قال وهو يمسح وجهه بمنديل:«كاترين، لماذا اتيت؟ ستشعرين بمزيد من الألم وانت ترين المكان يقفل ويباع.»

قالت ببرودة:«انتهى الألم، روني.» فالفتاة التي رحلت من هنا لتحصل على شهادة بالزراعة لم تتمكن من انقاذ مزرعة والديها. تابعت:«كان علي القدوم اليوم، لاراها لآخر مرة. فجذوري هنا، كانت هنا.» ونظرت الى الحقول اليابسة.

«اعتقدت فقط سيكون الامر اسهل ان لم تواجهني كل شخص هنا...»

قالت وقد لمعت عيناها بشدة:«لا اؤمن بالطرق السهلة، ولو كنت كذلك لما ذهبت لتعلم الزراعة.»

اومأ برأسه ونظر بعيدا. لاحظت كاترين ان هذا ما يحدث مع الجميع هنا. اما يحدقون بها او ينظرون الى البعيد. قال بعد قليل:«يبدو ان الحشد كبير، ومع ما قد تجلبه الارض، سيتمكن اهلك من التقاعد براحة.» لم تقل له انهما فعلا ذلك منذ الان. لقد اشتريا فيلا في ساكرامنتو على بعد ستة اميال من اختها واطفالها.

كما وانها لا تعلم ان رأت الراحة ام الندم في النهار الذي وقعا فيه الاوراق.

وقف عامل المزاد على المسرح الذي صنع خصيصاً لذلك، امسك المذياع وبدأ بعمله المألوف. لقد تم بيع الارض، ولم تجرؤ كاترين على النظر في اتجاه المنزل. علق روني:«جلبت الماشية سعرا مقبولا، واكثر مما حصل عليه فرنزو.»

هزت كاترين رأسها. فآخر ما تحتاجه هو التفكير بالماشية التي ساعدت في ولادتها، والخراف التي اطلقت عليها اسماء واطعمتها. لن تنسى مطلقا صوت السيد غرانت، الجاف مثل الارض ذاتها، حين شرح لها لما لا يستطيع اعطاءها المال. مازالت تشعر بالاذلال وهو يفسر لها وكأنها طفلة بدلا من الناضجة التي تملك شهادة من افضل جامعة في المنطقة. مسحت التعرق عن جبينها بينما كان المزاد يتجه نحو الجرار الكبير خلف الحقل، تماما حيث تركه والدها بعد ان حرث الارض آخر مرة.

قال الرجل:«ما المبلغ الذي سأسمعه مقابل اوك يالاو؟» شعرت كاترين بقلبها يغوص بين ضلوعها. كم هي عدد المرات التي جلست فيها قرب والدها وهي صغيرة حتى اصبحت قادرة على قيادته بنفسها؟ نظرت اليه وحتى من مكانها تستطيع ان ترى بقع الصدأ على جوانبه. ربما لن يشتريه احد.

كم ترغب في ان تصعد اليه لتقوده وتتنشق رائحة

الارض الرطبة وكيف يجري المحراث في الارض وراءها ويشق التراب.

اشتراه احد ما، بالطبع، لكنها لم تستدر لترى من هو. ركزت بعينيها على الشاحنة والتي سيتم بيعها الان.

ابتسم روني وعلق قائلا:«بالطبع هذه تذكرك بأشياء كثيرة، اليس كذلك؟ اتذكر انك كنت تتقلين الاسمدة والوقود من البلدة بها. وكل شخص كان يقول ان والدك مجنون لأنه سمح لك بقيادتها.»

قالت بنعومة:«لم يكن والدي مجنوناً، ارادني ان اتعلم كيف ادير مزرعة، وقيادة شاحنة او جرار زراعي جزء من ذلك.» الباقي حصلت عليه من الجامعة، فيما يتعلق بمستقبل الزراعة. كانت مستعدة تماما لإدارة المزرعة لكنها لم تستطع محاربة الجفاف والامراض، كما وانها لا تستطيع ان تجلس هنا لفترة أطول وهي تراقب انهيار ماضيها ومستقبلها.

ابتلعت غصة ونهضت، سرعت بالسير وهي تسمع:«من يزيد،، من يزيد، تم البيع.» هي ايضا راحلة كل الذي تعرفه ان عليها الابتعاد عن تراكيلتي قدر ما تستطيع.

اتكأت كاترين على الحاجز الامامي واستسلمت للدموع التي حبستها طوال الصباح. سمعت صدى الصوت يأتيها من بعيد:«تم البيع.»

الفصل الاول

تحركت الشاحنة بقوة فوق الطريق المليئة بالحصى والتراب، امسكت كاترين لوغان بحافة المقعد كي لا تضرب رأسها بالسقف وخلفها، داخل الشاحنة الواسعة حيث تجلس عادة، اثني عشرة امرأة هندية مع اكياس مليئة بالخس والبقدونس وفاكهة المانغو. انها فخورة بما تنتجه، ومن كل ما تقمنّ به بدون آلات، كما وانها فخورة بالنساء في اروكا واللواتي تعملن بجهد كبير من اجل الحصول على القليل القليل. لدرجة انهن بعد نهار كامل في السوق تنتهين بالحصول على بعض البازوس. المال الذي تحصل عليه النساء يذهب مباشرة من بين ايديهن الى جيوب العمال الذين يحضرون المحاصيل الى السوق. رتبت كاترين تنورتها واستدارت لتحدث السائق.

قالت بصوت عال كي يسمعها بسبب هدير المحرك:«طوماس، الا تستطيع تخفيض الثمن لنا؟ هؤلاء نساء فقيرات ولا تستطعن دفع الضرائب لك.»

قال:«وماذا عني؟ الست بحاجة لأعيش ايضا؟ هل تعلمين ما هو ثمن الشاحنة في هذه الايام؟»

هزت كاترين رأسها. لا فكرة لديها كم ثمن الشاحنة في اروكا. فهي متطوعة في بيس كروبس لمدة ثمانية عشر شهر، وهي تعلم ثمن البطاطا والخبز والاحذية، وليس

الشاحنات. ربتت على كتف السائق وسألته:«كم يبلغ ثمن شاحنة مثل هذه؟»

اجاب:«الكثير بالنسبة لهن. لكن بالنسبة الى امرأة اميركية مثلك ربما القليل.»

ابتسمت. فعلى الرغم من انها تعيش في منزل صغير كما يفعل كل المزارعين، وترتدي ثيابا مثل كل النساء وتضع وشاحا على كتفيها وتعقد شعرها الطويل بظفيرة طويلة، مازال هناك اشخاص هنا يعتقدون انها غنية. هم لا يعلمون انها بدون الأجر الزهيد الذي تقدمه لها بيس كرويس لكانت من دون فلس واحد. وبينما كانوا يتابعون السير على الطريق، كانت كاترين تفكر ان القرية لن تنهض من تلك الحلقة المفرغة من الفقر الا إذا تمكن القرويون من الحصول على شاحنتهم الخاصة. لكن كيف؟ استدانة المال امر مستبعد جدا. ام ان هناك مجالا لذلك؟ لم تقد يوما في طرق جبلية كهذه، لكن ان اصبح لديهم شاحنة خاصة بهم، ستفعل ذلك. ستفعل اي شيء لمساعدة هؤلاء الناس.

تثاءبت. فقد استيقظت النساء عند الساعة الثالثة صباحاً. والآن ها هنّ يقتربن من العاصمة، كانت الساعة تشير الى السادسة وسوق رودريغز يعج بالنشاط.

ما ان اوقف طوماس الشاحنة، حتى سارت النساء نحو السوق، بتعثر بسبب وزن المحاصيل على ظهورهن. حملت كاترين سلة من الخس، وسارت عبر الحشد الى المكان المخصص لهن.

ظهرت دونا جاكيندا بوجهها الاسمر الصغير والمليء بالتجاعيد من خلال العمل في الحقول، ونظرت باهتمام الى المرأة الشابة وتنهدت بيأس قبل ان تقول:«آه، ما الذي سيحدث لك وانت مدفونة هنا بين اكياس الخضار وليس لديك اصدقاء سوى المزارعين؟ عندما كنت بعمرك، كنت متزوجة وأم لستة اطفال.»

ابتسمت كاترين وقالت:«لكن، جاكيندا، انت من علمتني، ان النساء لهن اخطاء كثيرة، لكن الرجال لهم خطأين فقط، كل ما يقولونه وكل ما يفعلونه.»

دخل زيون، فساد الصمت، راقبت كاترين الشجار على الاسعار. من النادر ان ترى سائحين في السوق، لكن على رغم اللغة الاسبانية التي يتحدث بها الجميع، كانت تسمع اصوات اشخاص انكليز او اميركيين يتحدثون الانكليزية. اتكأت فوق الصناديق الخشبية ورأت مجموعة من الرجال يقتربون، وهم يرتدون بذلات وربطات عنق. لم تسمع كلمة باللغة الانكليزية منذ اسابيع، ومنذ الاجتماع الاخير لبيس كرويس في لاليوز. الرجل في وسط المجموعة بدا وكأنه مركز اهتمام الجميع.

فكرت، لا بد انه سيكون مركز اهتمام الجميع في اي مكان، بشعره الاسود ووسامة وجهه. كما وانه يسير بخفة عبر المتاجر وقد القى معطفه فوق كتفيه، جالت عيناه الزرقاوتان على المتاجر البسيطة وكأنه يبحث عن شيء مميز. غوافه؟ بابيا؟ سلة مصنوعة يدويا؟ وما ان اقترب اكثر، حتى التقت عيناه بعينيها، نظرت الى البعيد

بسرعة، وهي تشعر بالإحراج لأنه ضبطها تحدق به.
نكزت جاكيندا بكوعها. امرأة ملتفة بوشاح مطرز تحمل طفلا على ظهرها تسألها عن سعر المانغا. كانت كاترين منشغلة بالنظر الى الرجل فلم تلاحظها.
همست جاكيندا:«لا تخفضي السعر عن ثلاثة بيزوس.»
عضت كاترين على شفتها وقالت:«ثلاثة بيزوس.» هي تعلم انها تستطيع ان تزرع، وتحرث وتقطف المحاصيل، لكنها لا تستطيع الجدال في الاسعار. لأشهر طويلة حاولت ان تتعلم لكن من دون جدوى، فالزبائن توماً برؤوسها وتذهب الى مكان آخر. ربما اليوم، وجاكيندا بجوارها، ستتمكن من البيع بطريقة جيدة.
من زاوية عينها رأت كاترين الرجل صاحب العينين الزرقاوين ينظر إليها باهتمام.
وقفت جاكيندا قرب كاترين وحملت الفاكهة بيدها. في لحظة انهت الاتفاق، امسكت بعدد من حبات المانغا ووضعتها في كيس. دفعت الزبونة وسارت مبتعدة وهي تتذمر، لكن عينا جاكيندا لمعتا بالنصر.
سألت كاترين:«هل رأيت، عزيزتي؟ لا شيء صعب في ذلك. انه سعر مقبول وهي تعرف ذلك. ابدأي بسعر مرتفع عندها لديك المجال لتخفضي الثمن.»
ظهرت خطوط على جبين كاترينا. فالرجل مازال يراقبها.
نظرت الى جاكيندا وقالت:«لكنها تبدو فقيرة جدا، ولديها طفل عليها اطعامه.»
هزت جاكيندا رأسها وقالت:«هذا ليس طفلها، كما وانها

ترتدي هذه الثياب القديمة عندما تأتي الى السوق. فانا اراها كل اسبوع. دعي قلبك الرقيق يقسو قليلا، وسنجعل منك بائعة ماهرة.»
هزت كاترين رأسها وقالت:«احتاج الى القليل من التمرين.» عندما رفعت نظرها، وجدت ان الرجل يقف امامها ويحمل ست حبات من المانغا في يديه، وكان قريبا جدا لدرجة انها تنشقت رائحة عطر رجولي.
سأل باللغة الاسبانية:«كم ثمنها؟» فنظرت كاترين بيأس ناحية جاكيندا. فهي ليست مستعدة بعد لزبون جديد، كما وانها ليست مستعدة لرؤية هذا الرجل امامها والذي جعل قلبها يخفق بسرعة.
نظرت اليها وكأنها تقول، هذا الزبون لك، لا تفسدي الامر الآن.
اخذت كاترين نفساً عميقاً ونظرت الى عينيه الجذابتين، قالت بحزم:«كل واحدة بستة بيزوس.» لم تعد تسمع كل تلك الضجة في السوق بسبب ارتفاع صوت دقات قلبها. ستبدأ بستة وستتنازل حتى ثلاثة، كررت ذلك لنفسها. لكن الرجل لم يقل شيئا. كيف ستخفض سعرها حتى ثلاثة ان لم يتكلم؟
وقف امامها، حاملاً الفاكهة ويحدق بها. شعرت بساقيها تضعفان، فترنحت لتتكيء على الصناديق الخشبية.
اتسعت عينا الرجل، فأسقط الفاكهة من يده ليحاول الامساك بها. التقط اصدقاؤه الفاكهة ونصحوه ليدفع اثنين بدلا من ستة.

وبصوت عال عملت كل بائعة في المحل على الصراخ لما تستحق كل حبة مانغا ذلك السعر المرتفع. ربما لم تفهمن اللغة الانكليزية، لكنهن تعرفن جيدا كيف يجري العمل هنا. التجادل في الشراء والبيع عمل جاد، وعلمت انه يجري التأكد من مهارتها، الان وهنا. كررت رغم كل الصراخ:«ستة بيزوس كل واحدة.»

فجأة ساد الصمت في المتجر. مدّ يده الى جيبه وأخرج بعضاً من النقود المعدنية، عدّ النقود ووضعها في راحتي يديها الممدودتين. شعرت بأصابعه باردة، وبتيار كهربائي يسير من يده إليها. وبعناية اغلق يدها حول المال وأمسك بها للحظة طويلة.

لم يكن هناك اي مرح في عينيه الان. كان هناك شيء آخر، شيء سيطر عليها وجعلها تبقى في مكانها هادئة. بدأ اصحابه بالسخرية منه.

«ماذا بك، بنتلي؟ اول امرأة تراها وتفقد السيطرة على نفسك! هيا أيها الرئيس. علينا ان نبعدك ونعيدك الى البنك قبل ان تتحدث إليك المرأة وتقنعك بشراء صندوق من البطاطا فنضطر للاحتفاظ به في المخزن.»

إلتفت النساء حول كاترين لتهنئتها. ارتفعت الضجة من جديد، وعندما نظرت من جديد إليه رأت انه رحل، هو وأصدقاءه. لكنها حافظت على هدوئها وربحت الكثير. لقد اجتازت الامتحان وأصبحت واحدة منهن. لتحتفل بنصرها اخذت جاكيندا الى مقهى بعد ظهر ذلك اليوم حيث الظلال تسقط فوق المتجر والنساء تعمل على حزم

الحقائب الفارغة وعلى جمع المال الذي حصلن عليه. جلست جاكيندا ودعت كاترين الى الجلوس قربها.

قالت ما إن وضع المالك فنجاني قهوة امامهما:«كان يوماً رائعاً، هل تعلمين انني عملت في ذلك المتجر منذ ان كنت في الرابعة عشر من عمري ولم ار يوماً زبوناً دفع الثمن الكامل لأي شيء؟ كان ذلك امراً مذهلاً.»

وافقتها كاترين:«مذهل حقاً، لكن لا استطيع القول ان ما حدث له علاقة بمهارتي. فالرجل من اميركا الشمالية، وغير معتاد على التجادل في الاسعار، مثلي. اخشى القول انني لن افعل ذلك مع اي شخص آخر.»

امسكت جاكيندا بفنجانها وحدقت بكاترين مفكرة:«الا إذا عاد.»

«لن يعود، ولمَ سيفعل؟»

اقترب دون بانشيتو من الطاولة قائلاً:«لقد اتوا الى هنا هذا الصباح.»

سألته كاترين:«هل حقاً يعملون في البنك؟»

اومأ الرجل العجوز برأسه:«في البنك الكبير وسط البلدة.»

وضعت كاترين فنجانها جانباً. لقد اقسمت انها لن تزور أي بنك مرة اخرى، وان لا تتحدث مع صاحب بنك. لكن من اجل قرض لشراء شاحنة مما يبدل حياة القرويين وان كان القدرُ قد وضع في طريقها موظف بنك، هل سترفض الذهاب لرؤية السيد بنتلي في البنك الكبير وسط المدينة؟

وقف جوشوا بنتلي قرب نافذة مكتبه في الطابق الثاني

عشر في مبنى البنك الدولي. امامه تقع مدينة لاليوز وكأنها لوحة رسمت لتظهر الغنى الفاحش والفقر المدقع. لقد وصل الى المدينة منذ اسبوعين فقط، لكنها دعته إليها، ليترك مكتبه العالي ويحتك بالناس، مثل تلك المرأة صاحبة العينين السوداوين والخدين المتوردين. نظر الى السوق الذي بالكاد يظهر من مكتبه وتساءل هل تجلس هناك اليوم مع قبعتها المائلة، ومستغلة الزبائن كما فعلت معه؟ فهي لم تأت لا البارحة ولا قبله.

لم يمانع انها استغلته او أن اصدقاءه ضحكوا عليه. ربما العيش بمستوى عال جعله يشعر هكذا. فالعيش على ارتفاع اثني عشر الف قدم والحكم بطريقة خاطئة امر طبيعي. لكن النساء اللواتي يتطاير الشرر من نظراتهن ليس امراً طبيعياً، ليس في حياة جوشوا.

سمع رنين الهاتف في مكتبه، وآلة الفاكس اوصلت له عدة رسائل بأسعار الذهب والفضة ومع ذلك بقي واقفاً امام النافذة، متسائلاً اين هي الآن وما الذي تفعله. اخيراً لم يعد قادراً على تجاهل الهاتف لفترة اطول من ذلك، خصوصاً ان الاتصال من موظفة الاستقبال في قاعة الانتظار. قالت:«يوجد هنا امرأة اميركية تقول انها تريد رؤيتك.»

قال بفقدان صبر:«من اجل ماذا؟»

«تقول بشأن قرض.»

«ارسليها الى قسم القروض.»

«حاولت، لكنها طلبت ان تراك شخصياً.»

تنهد ثم قال:«حسناً دعيها تصعد.»

بعد مرور عدة دقائق، دقت سكرتيرته الانيقة المظهر على الباب ونظرت إليه باستغراب وهي تقول:«يوجد امرأة هنا تريد رؤيتك.»

اومأ برأسه وقال:«اعلم.» ماتت الكلمات على لسانه ما ان دخلت مكتبه. ذات المرأة التي تشغل باله بصورة دائمة طوال الايام الخمسة الماضية. كيف عملت على تقديم نفسها بأنها اميركية؟ فهي لا تزال تعتمر تلك القبعة الكبيرة المضحكة وتحدق به بجرأة.

حاول ان يشكل جملة في اللغة الاسبانية، اي جملة ليقطع ذلك الصمت، لكنه لم يستطع، فأشار إليها كي تجلس على المقعد المواجه لمكتبه.

اومأت برأسها وبعناية طوت تنورتها الطويلة وجلست، قالت من دون ان تبعد عينيها عن عينيه:«اتيت لأطلب قرضاً.»

اتكأ على مكتبه كي لا يسقط على الارض. شعر بالصدمة من سماعها تتحدث لغة انكليزية بطلاقة. لكنها تطلب شيئاً لا يستطيع تقديمه لها.

سألته عندما لم يقل شيئاً:«هل اتيت الى المكان المناسب؟»

اجاب على مضض:«لا في الواقع، لكن لن يهم الى اين تذهبين الجواب هو لا.»

وقفت مندهشة:«لا؟ لكنك لم تسألني ما هو المبلغ الذي اريده او لماذا اريده؟»

وافق قائلاً:«حسناً، اخبريني كم تريدين ولماذا تريدين المال. لكن كيف حدث انك تتحدثين الانكليزية بطلاقة؟»

دفعت بضفيرتها الطويلة الى وراء كتفها، واعتقد انه رأى بريقاً من المرح في عينيها. لكن عندما ابتسم لها غاب ذلك البريق فخاب أمله.

قالت:«انني اميركية، اعمل في مؤسسة بيس كروبس في بالمور، في الوادي.»

جالت عيناه من رأسها حتى حذاءها الاسود. اذن المرأة التي اثارت انتباهه لم تكن هندية من قبيلة ماماراً. انها متطوعة وتريد استدانة المال من اجل شراء مجوهرات فضية او تذكرة سفر للعودة الى بلادها. لم يعلم ان كان عليه ان يشعر بالراحة او بخيبة الأمل. مدّت يدها تصافحه قائلة:«كاثرين لوغان، اخصائية في علم الزراعة.»

ضغط على يدها وهو يفكر انه سيتنشق رائحة الفاكهة الطازجة، لكنه تنشق رائحة شعرها النظيف وبشرتها اللتين ذكراه بأيام الصيف والطرق في الريف. كان لا يزال يمسك بيدها، وتنظر اليه متسائلة فأدرك ان عليه ان يقدم نفسه:«جوشوا بنتلي، مساعد الرئيس الاعلى.»

اومأت برأسها وقالت:«اذن أتيت الى المكان المناسب.»

جلست من جديد، وكأنها لم تسمعه يقول لها ان الجواب لا. تابعت:«اعمل مع القرويين لانتاج نوع جديد من البطاطا، نوع يأخذ مكاناً اقل وينتج محصولاً اكثر وفي وقت اقصر.»

ضم يديه الى صدره، سألها:«وكيف تسير الاعمال؟»

«جيدة، بل رائعة. واكثر مما تأملت. لقد زرعت هذا النوع

كمشروع لتجربة في الجامعة، ولم اعمل عليه مطلقاً في عمل زراعي كبير. وانا متحمسة جداً بشأنه.»

ابتسم وقال:«استطيع ان ارى ذلك.»

انحنت الى الامام وحدقت به بقوة:«حقاً؟ هل تقصد انني وصلت الى موظف البنك الوحيد في العالم الذي يفهم لماذا نحتاج ان نستدين المال لشراء شاحنة لنقل محصولنا الى السوق؟»

حف جوشوا جبينه. لا يبدو انه قادر على التفكير بصورة واضحة. لا يعلم كيف سيفسر لها انه لا يستطيع ادانتها المال، مع انه يفهم لماذا تريده. لكنه ارسل الى هنا بالتحديد ليضع حداً للاستدانة.»

«اسمعي، كاترين لوغان، فهم حاجتك والقدرة على القيام بشيء ما امرين مختلفين جداً.»

وقفت محدقة به «انت تعني ان الجواب مازال لا؟»

وضع يده على ذراعها وقال:«هل تعلمين ان هناك ازمات ديون عالمية وان التضخم المالي في اروكا اصبح يفوق المئتين بالمئة؟ وهل تعلمين انه كلما يفشل دائن بتسديد قرضه يزداد المعدل ارتفاعاً وعندها لا يستطيع الفقراء شراء حذاء او طعام او...»

ابتعدت الى الوراء ورفعت كتفيها:«شكراً لك على هذه المحاضرة. لن اضيع المزيد من وقتك، طالما ان قرارك اتخذ قبل ا ن اتحدث معك. كان عليّ ان اعلم. انتم اصحاب البنوك لديكم اجوبة لكل شيء. والجواب دائماً لا.»

راقبها جوشوا بيأس وهي تمسح دموعها وتسير نحو الباب. قال وهو يتبعها عبر الغرفة:«انتظري لحظة، هذا ليس تقييما عادلا.»

ضغطت على مقبض الباب بقوة وقال:«ليس عادلا؟ سأخبرك ما هو الظلم. اعلان افلاس مزرعة بعد حياة طويلة من العيش والزراعة فيها و...» فتحت الباب من دون ان تكمل جملتها وسارت عبر القاعة نحو المصعد وهو يراقبها.

ما الذي ازعجها هكذا؟ هو يفهم خيبة املها، لكن ان تبكي من اجل مزرعة، بدا له ان رد فعلها مبالغ فيها. حل الغسق على المدينة وبدأت الانوار بالظهور. اخيرا توقف الهاتف عن الرنين. لو لم يرفض طلب لوغان لكانت مازالت تجلس هنا امامه الى المكتب، وعيناها تلمعان من الدفء وليس من الدموع. لكانت جلست براحة واخبرته بصوتها الرخيم لماذا التحقت بمؤسسة بيس كروبس وكيف تعلمت ان تتحدث الاسبانية بطلاقة. لكن لا خيار امامه. الاقتصاد في روكا في وضع متهور، وهو هنا ليخبر الناس ان عليهم ان يقللوا من نفقاتهم، لا ان يشتروا المزيد من الاشياء. لكنك ان لم يستطع ان يشرح ذلك لامرأة تملك إجازة في الزراعة، فكيف سيوصلها الى اي رجل في الشارع، الناس هناك تسرع بالعودة من العمل لتناول عشائها المؤلف من الفاصوليا والرز.

في الواقع الفاصوليا والرز ليسا سيئين، ان كان لديك

من تتشارك معه في تناولها. تساءل اين هي كاترين لوغان الان؟ وكيف ستعود الى بالمور في هذا الوقت من النهار؟ ام انها في مكان ما في المدينة، غاضبة منه؟

سمع طرقة على بابه، ادخلت السكرتيرة رأسها لتذكره بالاجتماع عند الساعة الخامسة.

سار عبر القاعة نحو غرفة الاجتماع، وبعد قليل بدأ يشرح خطته لتقليص المصروف. لكن عقله استمر في التفكير بامرأة في الوادي تزرع البطاطا وليس لديها وسيلة لتوصلها الى البلدة.

هناك ما يكفي من المال في هذه الغرفة لشراء مجموعة كاملة من الشاحنات. وان سأل، من المحتمل ان يوافقوا على تقديم احسان او مساعدة لقطاع الزراعة. لن يسألهم قبل ان يسألها ان كانت تقبل بالشاحنة كهدية. يستطيع تصور كيف سيبدو وجهها، مليئا بالتعجب والفرح والامتنان.

لم تخبر كاترين النساء في القرية انها لم تحصل على قرض حتى انهن لا تعرفن انها ذهبت الى البنك لاجل ذلك. وهكذا لن تثار خيبة املها او غضبها، او الاذلال الذي شعرت به عندما رفض طلبها.

اخذتها دونا جاكيندا جانبا في احد الايام وهما تسيران في الحقول، وأشعة الشمس تسطع عليهما وهما تحملان سلتين من البقدونس على رأسيهما:

«قولي لي، عزيزتي، ما الذي يقلقك؟ فأنت لست على طبيعتك منذ ان عدت من لاليوز الاسبوع الماضي؟»

قالت:«انا فتاة من الريف، والمدينة لا تناسبني. كما وان...» تنهدت قبل ان تتابع:«يجب ان اذهب الاسبوع القادم للقاء من اجل الاحتفال بعيد الاستقلال.»

صفقت دونا جاكيندا وعلقت:«هذا ما انت بحاجة اليه، حفلة. فعيد الاستقلال هنا نرقص على الطرقات. وعندما كنت في عمرك، كنت ارقص كل الليل ثم اعاود العمل في الحقول طوال النهار.»

نظرت كاترينا إليها:«وكيف كنت تفعلين ذلك؟ فعندما كنت بعمري كنت متزوجة ولديك نصف دزينة من الاطفال.»

هزت جاكيندا رأسها مفكرة وقالت:«هل قلت ذلك؟»

ابتسمت كاترين. وقالت لها:«لن اكون نصف ما انت عليه، سيدتي.» وصلتا الى منزل جاكيندا فوضعتا السلتين في كوخ وراء المنزل. ازدادت التجاعيد في وجه جاكيندا وهي تقول:«كيف حدث انك لم تتزوجي بعد، عزيزتي؟ ما الذي لا يعجبك في الرجال في بلدك؟»

«لم اتعرف على احد من الرجال، جاكيندا. كنت اعرف فقط فتيان. وكنت اشعر انني عجوزة عليهم. احيانا اشعر وكأنني في المئة من عمري.»

مالت المرأة العجوز برأسها. ونظرت الى كاترين باهتمام:«انت حقا متقدمة في العمر، ولكنك لست بعجوز. لكنني مازلت اكبر عمر منك ولدي تجارب في الحياة العاطفية. ألم اتزوج من ثلاثة رجال حتى الآن؟ لقد رأيت النظرة في عينيك في السوق ذلك اليوم، وشعرت

بتيار من الكهرباء في الهواء عندما اشترى الرجل الطويل منك المانغا. هل تنكرين انك شعرت بشيء ما؟»

شعرت كاترين بتورد خديها، فانحنت فوق سلة البقدونس للنظر إليها، قالت:«لا اعلم عمن تتكلمين، دونا؟»

«بالطبع لا، لقد كان هناك عدد من الرجال، فكيف ستتذكرين ذلك الشخص بالتحديد؟ لكن اقول لك لو كنت اصغر بثلاثين عام لما تركت ذلك الرجل يبتعد عني. سمعت انه يعمل في البنك. ولم اكن يوما هناك. لكن اعتقد ان لديهم مال اكثر مما رأيت في حياتي كلها.»

رفعت كاترين نظرها:«لم تذهبي يوما الى البنك؟»

«لا.»

«انت مزارعة، نعم، لكنك عاملة ايضاً، وتحتاجين للبنك. يوما ما سنذهب معا انا وانت.»

لمعت عينا المرأة وقالت:«وسنجد ذلك الرجل، الذي لا تتذكرينه.»

ابتسمت كاترين وتنشقت عطر باقة من الزهور ولوحت مغادرة. المرأة صريحة، تدبر الزيجات. تعمل في المنزل، وأم صالحة ومزارعة كما وانها تعمل في التجارة. كيف يمكن انها شعرت بالذبذبات في الهواء في حين انها هي نفسها تفعل ما بوسعها لتتجاهلها؟ انها لم تخبر جاكيندا عن الشاحنة. فلتفكر ان الغريب الطويل هو ثري وكريم. وهي لن تعلم انه هو ذاته وقف بينهم وبين الشاحنة التي هم بحاجة لها. لتتعلق جاكيندا بأوهامها. لكن كاترين لم يعد لديها اي اوهام.

الفصل الثاني

في الرابع من تموز (يونيو) رفرف العلم الاميركي في السماء الصافية فوق السفارة، في الوقت الذي وصلت فيه كاترين، كانت تجري مباراة بالكرة وراء المبنى الرئيسي والهتافات تملأ الهواء. رائحة اللحم المشوي قادتها الى طاولات مزينة بالاحمر والابيض والازرق ومليئة بأطباق السلطة والفاكهة الطازجة. اخذت كوبا من العصير من احد الخدم وتراجعت لتبدي اعجابها بمنحوتة من الثلج لوزة في وسط الطاولة.

سمعت صوتا عميقا يقول:«تماما كما في بلادنا.» ضغطت بيدها على الكوب. لم تكن بحاجة لتستدير لتعلم ان صاحب الصوت هو جوشوا بنتلي. باستطاعتها ان تتظاهر انها لم تسمعه وتسير مبتعدة. لكنها استدارت ونظرت إليه. لم يكن يرتدي بذلة رسمية، بل بنطالا عاديا وقميصا قطنية زرقاء وبطريقة ما محى صورة صاحب البنك التي كانت دائما في خيالها.. لكنها ذكرت نفسها، هذا لا يغير الحقيقة، لكنه يبدو مختلفا فقط. من الصعب عليها تجنب الشخص الوحيد الذي ارادت تجنبه. فهي بالكاد وصلت وها هي تحدق به، تساءلت ان كانت مجرد الثياب فقط جعلته اكثر جاذبية. لا بد ان تحدثه ثانية عن القرض، لذلك عليها ان تكون اكثر تواضعا. قالت بصوت ناعم:«ليس في المنطقة التي اعيش

فيها، فنحن لا نملك منحوتات من الثلج في ترانكلتي. خصوصا في الرابع من تموز. الحرارة تفوق المئة درجة في هذا الوقت من السنة.»

ردد:«ترانكلتي.» وهو ينظر الى قميصها وتنورتها الدنيم وحذائها.

«هل سمعت بها؟»

هز رأسه، ثم امسك كوب العصير من احدى الصواني التي يحملها خادم يمر قربهما:«هل يمكننا ان نجلس في مكان ما ونتحدث؟ لدي فكرة لمعت في بالي بعد مغادرتك مكتبي في ذلك النهار.» ردت عليه بابتسامة كبيرة وهذا ما جعله يتأكد من محاولته.

وضع يده بنعومة على ظهرها وسارا عبر الحشد الى طاولة تحت شجرة صفصاف جلست على كرسي ابيض اللون ورفعت نظرها إليه، بدت عيناها واسعتان ومليئتان بالفضول. تركت شعرها منسدلا هذا النهار، فالتف حول وجهها في تموجات جميلة.

سألته:«هل يتعلق الامر بالشاحنة؟ هل بدلت رأيك؟ هل قررت ان قرضا صغيرا لمجموعة من النساء لن يرفع معدل التضخم المالي؟»

«لا. لكن فكرت انني استطيع ان احصل على المال بطريقة اخرى. في شكل تبرع او مساهمة في تحسين القطاع الزراعي. وهذا افضل من قرض. لن يكون هناك اي استرداد للمال بالمقابل، انه هدية.»

«هدية؟ لسن بحاجة الى هدية. فهن بحاجة الى قرض.

هنّ بحاجة ليصبحن جزء من العالم الحقيقي. حيث يستدين الناس المال ثم يدفعونه. اريد ان يشعرن بالراحة وهن يدخلن البنك ويعلمن ما الذي عليهن فعله ككتابة الشيكات ودراسة ميزانية الحسابات. اعلم ان باستطاعتهن القيام بذلك اذا قدم لهن احد ما الفرصة قرض صغير، فقط بما يكفي لشراء شاحنة. هنّ بحاجة للشاحنة، لكنهن بحاجة اكثر لمعرفة نظام التعامل في الحياة.»

قال بهدوء:«بدت لي فكرة جيدة... في ذاك الوقت.»

«لطيف منك ان تفكر في ذلك، او اي كان صاحب الفكرة، لكن النساء لن تقبلن مثل هذه الهدية. فهن فخورات جدا بأنفسهن. مرة قدمت لاحداهن حذاء رياضة فصنعن لي وشاح بأيديهن. ما الذي سيقدمنه ان اعطاهن احد ما شاحنة؟»

وقف وعقد ذراعيه:«لا داع لأن يقدمن اي شيء. ولا اصدق انهن فخورات لدرجة ان يرفضن شيئا هن بحاجة إليه بشكل ملح.»

هزت رأسها بحزم:«اسوء شيء بالنسبة للنساء الهنديات في ماماران ان يشعرن بالإهانة، وهذا ما سيفعله الاحسان بهن. هذا يعني انهن لا تستطعن تأمين ما تحتاجهن. الناس هنا لديهم كبرياء، وانا لا ارغب في ان ارى ذلك الكبرياء يتحطم بسبب احسان ما. بقدر ما هنّ بحاجة للشاحنة، فهن بحاجة للثقة بأنفسهن اكثر. لذلك شكرا لا داع للمحاولة.» وقفت ونظرت حولها

وكأنها تبحث عن مكان لتهرب من محاولته الفاشلة. لم يستطع جوشوا الحركة، شعر وكأن لا قدرة لديه كي يتنفس. انه غاضب. وان تصرف بطريقة سيئة، ذلك لأنه يرغب في المساعدة. لا يحق لها ان تجعله يشعر بالذنب. اي حق لهذه المرأة لتعطيه درساً في التحليل النفسي؟ قال وهو ينهض عن كرسيه:«انتظري لحظة.»

بدت متفاجئة، من الواضح انها اعتقدت النقاش انتهى، لكن جوشوا لا يعتقد ذلك مطلقاً. امسك بذراعها ليمنعها من الابتعاد.

«اسمعي، آنسة لوغان، قد تكونين افضل من يزرع البطاطا في العالم، كما وانني متأكد انك امضيت وقتا هنا اكثر مني، لكن لا اعتقد ان لديك معرفة كاملة بعقائد الهنود. اتيت الى اوركا ليس فقط لأنهم بحاجة لضبط الامور في البنك، بل لأنني مهتم في هذا البلد وبالناس ايضا. انه ليس بعمل سهل بسبب المشاكل المالية والفقر والتضخم المالي، لكنني افعل افضل ما لدي.»

اتسعت عيناها، وشدت بقوة على شفتيها. لم يستطع ان يعلم بما تفكر فيه. لم يقل لها انه طلب منه التوجه الى فرع البنك في باناما وكولومبيا، لكنه انتظر ليأتي الى اوركا من اجل ان يبحث عن منجم الفضة الضائع. لم يخبر احدا بذلك ثم تابع:«لا تقلقي، لن ازعجك بالحقائق مرة ثانية. اعلم انك تعتقدين ان قضيتك مختلفة. كل شخص يعتقد ذلك. ربما يمكنك ان تزرعي ما يكفي من البطاطا لتدفعي ثمن القرض. لكنني لا اعتقد

ذلك. مع مرور السنين اصبحت بارعاً جداً بالتوقع.»
«اذن لهذا السبب انت هنا. لأنك ماهر في قول كلمة لا.»
اسقط يده عن ذراعها وقال:«ليس هذا هو السبب الوحيد. كنتِ افكر في القدوم الى هنا حتى قبل ان اصبح موظفاً في البنك.»
نظرت اليه متأملة وسألته:«هل اقدمت على القيام بخطأ ما؟»
«بالطبع اخطأت كثيراً. موظفو البنوك هم بشر ايضاً.» ضاقت عيناها وسألته:«لم اسمع مطلقاً ان واحداً منهم اعترف بذلك من قبل.»
سأل، متفاجئاً من المرارة في صوتها:«ما الذي فعلوه بك موظفو البنوك؟ هل كانت مزرعتك تلك التي باعوها في المزاد العلني؟»
قالت بضيق:«ذلك تاريخ مضى، لنعد الى القرض. قبل ان تأخذ قرارك النهائي...»
«اتخذت قراري النهائي. لا قروض زراعية هذه السنة.» تابعت وكأنه لم يتكلم:«يجب ان تأتي الى الوادي. ان استطعت رؤية ما نفعله بالقليل الذي لدينا، اني متأكدة ستوافق...»
هز رأسه وابتسم بالرغم عنه من تصميمها:«انت لا تستسلمين ابداً، اليس كذلك؟ اجلسي وسأحضر لك سندويش وكوباً من الشراب.»
انتظر حتى رآها تجلس قبل ان يتجه نحو الشواء، وضع قطعتين من اللحم فوق الخبز وغطاهما بالفجل والبصل

والخردل والكاتشب. لن يمانع بالذهاب الى الوادي. في الواقع، سيشعر بالسعادة للحصول على فرصة للابتعاد عن المدينة، لكن لا رغبة لديه في اعطاء قرض لهذه المتطوعة المثالية حتى ولو سنت واحد. فما الذي سيقولونه في بوسطن؟
عاد الى كاترين، وهو يحمل طبقين من الطعام وكوبين من العصير. لن يسمح لنفسه بالتأثر بعينيها الجميلتين وبرشاقة جسمها. بدت سعيدة انها رأته، لكن اكثر سعادة لرؤية سلطة البطاطا واللحم. جلس قبالتها ورفع كوبه قائلا:«عيد استقلال سعيد.»
نظرت الى عينيه، فلم تر عداوة، فقط دفئاً ووداً. انه لا يحمل لها اي ضغينة، مع انها رفضت عرضه. لذلك لم عليها ان تغضب عندما يقول لها لا؟ وها هما، شخصان اميركيان، بعيدان آلاف الاميال عن وطنهما. وبدلاً من ان يمرا قرب بعضهما كسفينتين في البحر، لم لا يجلسان معاً ويتحدثان قبل ان يتابعا حياتيهما؟ انه امر طبيعي جداً.
سألها:«اول مرة بعيدة عن البلاد في الرابع من تموز؟»
«لا، كنت في اروكا السنة الماضية، لكنني لم احضر حفلة السنة الماضية ولا اعرف السبب. ربما لأنني لم اكن اريد التواجد مع الاميركيين.» ما ان قالت ذلك، حتى تمنت لو لم تفعل. الان سيفكر انها اتت لتراه. لقد رغبت في تجنبه، لكن الامر لم ينجح.
سأل وهو يتراجع على كرسيه ويشرب من كوبه:«وماذا

يحدث في ترانكلتي عندما تكون درجة الحرارة عالية جداً؟» سيكون لديه متسع من الوقت للمقاومة فيما بعد، فالاحساس نحو هذه المرأة يبدله ويجعله ينسى كل المشاكل التي اخبرها بها، الدين العالمي، ازمات التضخم المالي، والقصة التي لم يخبرها بها، الخوف الكبير من القصص التي سمعها عن منجم الفضة الضائع والتي كان لها دور كبير في قراره للقدوم الى هنا. لو انه ذهب الى باناما او كولومبيا حيث يريدونه، لربما اصبح المدير الإعلى الان.

وضعت طعامها جانبا وأجابت:«سيجري استعراض في الشارع عند الصباح مع الفرقة الموسيقية للثانوية.»

«وهل كنت تعزفين؟»

«الطبل.»

ابتسم، وتخيلها ترتدي سترة ضيقة بأزرار وبنطال قصير مع حذاء ذو ساق طويلة وتسير امامه. وشعرها الاسود الكثيف تحت قبعة بيضاء سأل بكسل:«هل تفتقدينها؟»

«ماذا، الضجيج المدوي؟»

«لا، ترانكلتي.»

«لا.» وضع كوبه على الطاولة ونظر إليها، ففسرت له:«احب العيش هنا، قد لا اعود مطلقا. وماذا عنك؟»

«اعتقد انني سأحب الحياة هنا. لكنني لست معتادا على المرتفعات، كما وانني لم ار الكثير الا البنك وشقتي، وهي تبعد فقط مبنين عن البنك.»

هزت برأسها مستغربة. لكن عليها ان تعترف بالنسبة الى شخص محجوز دائما في البنك ويعاني من مرض الارتفاعات يبدو رائعا جدا. لدرجة انها تعاني من مشكلة لإعادة الحديث الى القرض. وعلى العكس وجدت نفسها تراقبه. وبصعوبة اعادت تركيزها الى الموضوع الاساسي. لم يقل انه لن يذهب الى الوادي. ربما ان سألته مرة ثانية.

قالت مقترحة:«يبدو انك بحاجة لترى المزيد من هذه البلاد.»

«مثل الذهاب الى بالمور؟»

«صحيح، ان كنت فعلا مهتماً في هذه البلاد والناس. تعال وقابل النساء لترى كم تعملن بجهد كبير.»

«النساء! وماذا عن الرجال؟»

«الرجال يعملون في المناجم. الزراعة هي عمل النساء في هذه المنطقة. ان كانوا سيعتمدون على اموال المحاصيل، بالطبع لن يجوعوا، لكنهم لن يجدوا مالا لشراء حذاء او ادوات للزراعة.»

ضاقت عيناه وسألها:«مناجم؟ ليست مناجم للفضة.»

هزت رأسها:«اغلقت مناجم الفضة منذ عدة سنوات. فقط العجائز يتذكرونها. انهم يعملون في مناجم التنك الان، وهو عمل خطر، لكن عندما يعودون الى منازلهم يحضرون معهم رواتبهم. والا...» توقفت عن الكلام. لقد فعلت كل شيء. وكل ما يفعله هو ان يبدل الموضوع. مسحت يديها بمنديل ورقي وقررت ان تغادر وهي لا تزال تحتفظ بكرامتها.

Pdfbooksfree.com Portable of affection

قال:«احب ان اذهب، لكن اخشى القول لا يهم كم سيعجبني العمل عليّ ان ارفض طلبك من جديد.»

قالت بهدوء:«لا تقلق عليّ، يمكنني تحمل ذلك. فقط تعال بعقل منفتح.»

في اعماقها كانت تعلم ان اتى جوشوا بنتلي الى بالمور وقابل جاكيندا ورأى كم يبذل جهدا كل شخص هناك مقابل القليل، سيبدل رأيه. انه مدير بنك، صحيح، لكنه يبدو ايضا رجلا نزيها.

سألها:«ما رأيك في عطلة هذا الاسبوع؟»

رفعت كتفيها ببساطة وهي تشعر بالتوتر في داخلها. فقد تمكنت من القيام بذلك وأقنعته بالحضور:«رائع.»

وقفت وهي تشعر بالحاجة للابتعاد عن عينيه الثاقبتين وعن اسئلته. لقد تحدثت بما فيه الكفاية عن نفسها. فهي هنا لتنسى ترانكلتي، لا لتعيد ذكريات عن اوقات سعيدة او استعراضات في ايام الاعياد.

«عليّ ان اغادر ان كنت سألحق بالشاحنة.»

وقف ونظر الى السماء:«لكنك لن تشاهدي الالعاب النارية؟»

قالت بنعومة:«اعتقد شاهدت ما يكفي من الاميركيين اليوم. وفي منتصف الليل اعود الى مزارعة من جديد، ومرتدية ثوبا فضفاضا وحزاما حول خصري وعنقي.»

مدّ يده ولف خصلة من شعرها على اصبعه، وعلق بنعومة:«مثل سندريلا.»

ادركت انهما اصبحا بمفردهما، تابع:«لا تهربي. قد تخسرين خفك الزجاجي.»

ابتعدت عنه ونظرت الى ساعتها:«كيف مر الوقت، علي ان اسرع.»

سألها:«ما رأيك في نهاية هذا الاسبوع؟»

«سأنتظرك صباح نهار الاحد.»

«وكيف اجدك؟»

«ما ان تصل الى بالمور، اسأل اي شخص اين تعيش الاميركية؟»

قال لها بعدما ابتعدت:«انا لا اعدك بأي شيء.»

اجابت من وراء كتفها:«ولا انا.» واختفت.

وقف جوشوا بمفرده وهو يشعر بأنه فقد شيئاً كان يبحث عنه لوقت طويل. انها جميلة، لكن هناك شيئاً ما في اعماق عينيها يدفعه للابتعاد عنها. سار ببطء نحو الباب الامامي، وهو يشعر بألم وكأنه مزيج من الوحدة والشوق الى الوطن. ومع ذلك ليس هكذا. انه شوق لشيء يريده ولا يستطيع ايجاده.

اطل صباح نهار الاحد صافياً وحاراً. اتكأت كاترين على نافذة غرفة نومها وتنشقت الهواء الملىء برائحة عطر الورود المتسلقة من باحة منزلها الصغير. الحقول المزروعة تمتد امامها الى ابعد ما تستطيع النظر. لا يوجد عطلة نهار الاسبوع للمزارعين وهذا النهار ليس استثنائيا. ارتدت بسرعة ثوبها الفضفاض وارتدت فوقه قميصا ثم وقفت امام المرآة تسرح شعرها. فجأة، تذكرت لمسة يد جوشوا على شعرها. وبسرعة عقدته بضفيرة مشدودة.

انه آت ليرى المزرعة، لا لرؤيتها. هذا اذا اتى. وما ان سارت عبر الممر نحو حقول البطاطا، تساءلت ان كان عليها ان تذكر زيارة جوشوا الى جاكيندا او الى اي شخص آخر، ان اخبرتها عن سبب زيارته فستعدها خيبة امل، لكن ان لم تخبر احدا، فسيظنون انه ان لزيارتها. قررت ان لا تهتم للامر، فقد لا يأتي مطلقا لكن هناك شيئا ما في الهواء اليوم ينذر بحدوث شيء ما. وعلى حافة الحقل انحنت لمعاينة النباتات الصغيرة التي زرعتها منذ اسابيع قليلة.

قالت وهي تزيل التراب عن الورقة:«هيا، لنرى بعض التقدم هنا، ارتفعي، الى اعلى والمسي الهواء.» رفعت صوتها محدثة الحقل كله، ثم وقفت على رؤوس قدميها ونشرت ذراعيها وكأنها تفسر للنباتات كيفية تفتح البراعم سمعت وقع خطوات، فاستدارت وكأنها راقصة تمد ذراعيها. رأته مرتديا بنطال جينز قديم وقميصا رفع اكمامها الى مرفقيه. اسقطت ذراعيها وراقبته يقترب. علمت انه رآها تتمايل بين النباتات، وتمنت ألا يكون سمع انها كانت تتحدث إليها.

في لحظات اصبح قربها، ابتسم لها وهو يقول:«لا تدعيني اقاطعك. ماذا كنت تقولين؟»

تورد خداها. وقالت:«انها طريقة متبعة، التحدث الى النبات. فهي بحاجة للتشجيع تماما مثل الناس.»

ضم ذراعيه الى صدره وقال:«وهل ينجح ذلك؟»

«ان كنت صادقا.» نظرت إليه، لترى ان كان يملك

شيئاً من الصدق. هل حقاً يريد ان يرى المزرعة؟ لقد ضبطها تتحدث الى النباتات، وهذا يجعل موقفها ضعيفا. لكن عليها الان ان تدعه يرى كم تعمل بجد هنا.

«هذه هي البطاطا التي حدثتك عنها، في اليوم الذي ذهبت فيه الى مكتبك طلباً للقرض.»

«آه، صحيح. تلك التي لا تأخذ مساحة كبيرة وتنتج كمية اكبر في وقت اقصر.»

اومأت برأسها موافقة، فما زال يتذكر. انحنى ليمسك القليل من التراب بين اصابعه. فانحنت قربه وغاصت بأصابعها في الارض الغنية.

«انظر الى هذا، اليس جميلا؟ اتمنى لو استطيع ان احصل على حصر هذه الارض لأزرعها بالبطاطا، لكن اي شيء قد ينمو هنا. ضع غصناً هنا وفي الاسبوع القادم سترى عليه براعم. ارمي بقلب تفاحة من النافذة، وفي السنة التالية ستجد شجرة. حيث لا يوجد عندنا وقع قدم مثل هذه الارض في كاليفورنيا.»

استدار لينظر إليها:«اذن، هناك تقع ترانكلتي.»

قالت:«انها في الوادي الكبير، ولن تراها على خريطة العالم.» وقفت وسارت ببطء.

سألها:«الهذا السبب غادرت، بحثاً عن تربة افضل؟»

«نعم. تعرضنا للجفاف طوال السنوات الثلاث الماضية. وكنت قد تلقيت الكثير فأردت ان امارس ما تعلمته. لكننا خسرنا مزرعتنا ولم يعد هناك من سبب لأبقى.»

«وليس هناك شخص تبقين لأجله؟»

قالت بحزم:«لا احد، هل دائماً تطرح اسئلة شخصية هكذا على من تريد اعطائهم قرضاً؟»

«من الافضل معرفة ماضيهم.» سار بين النباتات ووقف قليلا يحدق بالسماء الصافية.

قالت:«وانت، ما الذي دفعك لتصبح موظفاً في بنك؟»

«المال والامان، وكلاهما كانا نادرا الوجود في حياتي. والدي كان تاجرا لكل الاشياء، وفشل في معظم اعماله. كان دائما يبحث عن شيء ما. ولسوء الحظ لم يجده. كنت اعلم ان هناك طريقة افضل لاعالة عائلة.»

لمع في فكرها، عائلة؟ لم تفكر مطلقا ان هناك احتمال انه يعيل عائلة، لكن في الواقع هناك الكثير من العائلات التي تبقى في الوطن بدلا من التأقلم مع المكان واللغة. سارت نحوه وهي تنظر الى النباتات.

«كيف هي عائلتك؟»

قال:«توفي والدي في حادث تحطم طائرة منذ عدة سنين.»

قالت:«آسفة.»

«لا داع لذلك. انها الطريقة التي رغب بالموت بها. لم يرد ان يموت في السرير. وقد عاش في سنواته السبعين اكثر مما يستطيع ان يفعله معظم الناس في اكثر من حياة. كان لديه اكثر القصص غير المعقولة ليقصها علينا... عندما يتواجد في المنزل.» سمعت حزناً ومرارة في صوته.

علقت:«لكنه لم يكن قريبكم في المنزل بشكل دائم.»

«لا، امي كانت تذهب الى العمل وانا الى المدرسة. وأبي

كان يذهب باحثاً عن الكنز المفقود. لم تسامحه عائلة امي مطلقا.»

سألته بنعومة:«وانت؟»

نظر اليها ولم يجب، ثم رفع كتفيه، وكأن الامر ليس بذي اهمية. لكن بطريقة ما علمت كاترين انه مهم. وعلى الفور بدل الموضوع قال:«استطيع ان اتصور طفولتك تركضين وتقفزين على اكوام القش وتربين الهر في المخزن.»

«هذا صحيح. ومع اننا لم نكن اثرياء، لكن لم نشعر مطلقا باننا فقراء. فهناك دائما ما يكفي من الطعام في المزرعة. وكانت امي تخيط كل ثيابي. لم افكر مطلقا ان ذلك لن يستمر الى الابد. وان اخيط الثياب لاطفالي واعد المؤونة في الصيف وأحيك الصوف في الشتاء...»

توقفت عن الكلام وأجبرت نفسها على الابتسام قبل ان تتابع:«حسنا، لنتابع السير، هناك اشياء كثيرة اريدك ان تراها.»

سارا بصمت عبر حقول القمح وسهل من البندورة الطازجة ومن ثم مساحات مزروعة بالبقدونس. بدت الألوان اكثر لمعانا هذا اليوم، والهواء اشد عذوبة. لم تعلم كاترين ان كان للرجل الذي يسير بقربها علاقة بما يحدث. لوحت الى دونا بلانكا، التي كانت تجر حصانا وولدين صغيرين يمتطيان حمارا وراءها.

هز جوشوا رأسه للمرأة ولوح للطفلين، ثم اعاد انتباهه الى كاترين، التي سارت عبر ممر ضيق. ذكر نفسه انه

Digital Atlas.com Digital Land of affection

هنا من اجل عمل يتعلق بالقرض. مع انه، كان بإمكانه ان يقول لها من دون ان يأتي كل هذه المسافة. اما الان فقد اصبح اكثر من مقتنع انهم لا يملكون الفرصة لدفع القرض بالطرق البدائية التي يعتمدونها في الزراعة.

واكثر مما يستطيع توقعه من هذه الرحلة ان يقنعها بقبول الشاحنة كهدية، ثم اقناع احد ما ليقدمها لهما.

عرفته كاترين على دونا جاكيندا، فدعتهما الى منزلها البسيط والنظيف. مدّ صبي صغير رأسه من النافذة، فقالت له:«انهم يشعرون بالفضول لوجودك.» ثم سكبت لهما القهوة وتراجعت الى الوراء لتنظر الى الرجل. تحدثت بالاسبانية بسرعة لم يستطع متابعتها، فنظر الى كاترين متسائلا.

قالت:«تقول انها تتذكرك، في السوق.»

«قولي لها انني اتذكرها ايضا. هل تعلم لما انا هنا؟»

«لم اخبر احدا عن القرض. لذلك قفزت الى استنتاجاتها الخاصة. فعندما يأتي رجل ليرى امرأة في اوركا، فإنه لسبب محدد.» تحركت على كرسيها بعدم راحة وتابعت:«لذلك تريد ان تطرح عليك بعض الاسئلة.»

لمعت عينا جوشوا بالمرح وقال:«فلتسأل ما تشاء.»

قالت وقد تورد خداها:«تريد ان تعلم ان كنت تستطيع إعالة زوجة.»

اكد لها بتهذيب:«زوجة وأطفال، ايضاً.»

ترجمت كاترين لها وانتظرت السؤال التالي:«كم من الاطفال؟»

«اربعة، خمسة، ستة... قدر ما نستطيع. كنت طفلاً وحيداً. وأقول لك، انه امر سيء فعلا.»

عندما سمعت ذلك، رفعت جاكيندا يديها وأخذت تصلي لأنه ارسل لهم هذا الرجل في الوقت المناسب.

بدا وكأن كاترين لا تريد ان تترجم له، لكن جوشوا فهم ما الذي تقول. قالت لجاكيندا انها تريد ان تدع جوشوا يرى المزرعة الان. نهضت وسارت نحو الباب. اصرت جاكيندا وأحضرت الحصان من وراء المنزل ليمتطياه. رفع جوشوا كاترين الى ظهر الحصان ثم جلس وراءها ووضع يديه على كتفيها وسارا عبر حقول الفليفلة واللفلين والحشائش الخضراء.

كان الهواء نقياً، فبدأ يفهم ما معنى ان يخسر الانسان مزرعته، خصوصا تلك التي نشأ فيها. لاحظ ان جاكيندا مازالت عند الباب تراقبهما وتلوح لهما.

قالت كاترين:«هي تحبك، في حال لم تلاحظ ذلك.»

اجاب:«وتحبك ايضاً.» تمنى لو ان المزرعة كبيرة جداً ليبقيا هكذا طوال النهار يتمايلان معاً ورائحتها العطرة تخترق حواسه.

«هي تحبني، لكنها لا توافق على تجوالي في العالم من دون زوج. تريدني ان اتزوج قبل فوات الاوان.»

اقترب اكثر ليسألها:«هل لديك اي اعتراض على الزواج؟»

«لا، على الاطلاق.» وربتت على عنق الحصان لتبتعد عنه قليلا. «فقط انا مهتمة بالزواج الذي يدوم الى الابد. وهذا امر نادر، في حال لم تلاحظ ذلك. خذ مثلا اختي

Download Pdf Files.com Revival of Arabia

تزوجت لتنتقل من العيش في المزرعة الى البلدة، وهي الان مطلقة ولديها طفلين. وهذه جاكيندا، تزوجت ثلاث مرات، من عمال في المناجم، وجميعهم اموات الآن. ليست غلطتها انهم ماتوا، لكنني لا استطيع ان اجعلها تفهم انني مكتفية بما انا عليه. لدي خطة عمل تبقيني منشغلة لخمس سنوات قادمة. والامر المضحك انني اتيت الى هنا لأساعدهم بنظرياتي وبتحسين محصول البطاطا. لكن هل تعلم ما الذي حدث؟ لقد تعلمت منهم اكثر مما تعلمته في اربع سنوات في الجامعة.»

مرر يده على كتفها وشعر برغبة قوية كي ينزع الشريطة عن الضفيرة ويفكها ليرى شعرها ينسدل على ظهرها. لكنها ضغطت على بطن الحصان فأسرع في الجري تابعت بتعمد: «اذن تستطيع ان ترى لماذا اريد ان افعل شيئا لهم، لأترك شيئا ما ورائي عندما ارحل.»

قال بتوتر: «الشاحنة؟»

«بالطبع.»

«اذن دعيني اجد لك مساهماً.»

قالت: «انت لا تفهم. وتعتقد ان هذا سيحل كل مشاكلنا. لكن الشاحنة هي جزء من الحل. الباقي هو تعلم الوسائل للحصول على قرض ودفعه. تحمل المسؤولية في القيام بأمر مهم. ثم تلك التفاصيل الصغيرة ككتابة اسمائهم على شيكات، وتعبئة اوراق القروض.»

«كاترين...» بدأ بالقول. لكن كيف يمكنه ان يخبرها من جديد ان جوابه لا.

استدارت بسرعة على ظهر الحصان، وضغطت بيدها على فمه كي لا يتكلم. اراد ان يقبل اصابعها، لكنها استدارت بسرعة قبل ان يتمكن الا بالتفكير بالامر. قالت: «لا تتخذ قرارك الان. فلقد وصلت للتو.»

توقف الحصان تحت شجرة، فنزلت الى الارض ووقفت تنظر إليه، وكأنها تتوسله بعينيها كي يساعدهم. مدّت يدها لتساعده على النزول. قفز وشدها إليه. وبيد امسك بالضفيرة على ظهرها ونزع الشريطة، فتساقط شعرها كالموج، ورائحته كعطر زهور الصيف. التقت عيونهما، وللحظة طويلة لم يسمع غير صوت العصافير في اغصان الشجر فوقهما.

اخيرا تراجعت الى الوراء، وضعت يديها خلف ظهرها، قالت: «قلت لك انني سأفعل اي شيء لمساعدة الناس هنا في الوادي. لكنني لم اقصد...»

«اعلم ذلك. كنت فقط احاول ان ادعك تبدلين رأيك بشأن اصحاب البنوك.»

قالت بإصرار: «هناك طريقة واحدة يمكنك ان تقوم بها.»

اقترب منها، ونظر اليها بعينيه الثاقبتين، وقد وضع يديه على جانبي كتفيها على جذع الشجرة، قال: «لماذا انت مصرة هكذا بشأن القرض؟ عندما تأخذين قرضاً، سيتضاعف الضغط عليك. ماذا اذا حدث شيء ما كالجراد مثلاً او الفيضانات، وعندها لا تستطعين دفع المستحقات؟»

لم تبعد نظراتها بل حدقت به وأجابت: «عندها ستستعيد

الشاحنة. ولن نخسر شيئاً. وانت تحتفظ بالشاحنة.»
سألها:«هل حاولت مرة ان تبيعي شاحنة مستعملة؟»
«لا، لكنني راغبة في المحاولة.» اخفضت جسمها من تحت ذراعه، ودفعت شعرها بعيداً عن وجهها، قالت بانزعاج:«لنعد الى المنزل.»
هذه المرة جلست كاترين وراءه، وكانت حذرة جداً كي لا تلمسه. نظرت الى الجبال البعيدة، كي لا تنظر الى كتفيه العريضين. فهذا الانجذاب الذي تشعر به نحوه يشكل لها مشكلة عليها ان تنهيها. عنيدة، قال عنها. هذا صحيح. هي عنيدة ومصرة ان تبقى علاقتهما في حدود العمل فقط.
ربطت كاترين الحصان امام منزلها. وتنشقت رائحة الطعام الشهي القادمة من نافذة المطبخ المفتوحة فنظرت الى جوشوا بحيرة. في الفرن وجدت فطيرة من البيض والاعشاب والجبن. وعلى الطاولة رغيفا من خبز جاكيندا وأبريق عصير. ابتسمت كاترين، فجاكيندا تريد ان تزيل كل العوائق، وهي مقتنعة ان الطريق الى قلب الرجل معدته.
حرارة الموقد حولت المنزل الى فرن، فاقترحت ان يتناولا الطعام خارجاً. تناولا الطعام بصمت من شدة التعب والجوع، ونظرا الى بعضهما بحذر. في الوقت الذي انتهيا به نظر جوشوا الى الارجوحة المعلقة بين شجرتي صفصاف، تثاءب وقال:«لقد استيقظت عند الساعة الخامسة.»

اجابت:«وأنا ايضاً.»
سألها:«اليس هناك وقت للراحة عند المزارعين؟»
هزت برأسها، فهي لا تستطيع التحدث معه براحة فهو سيثنيها عن القرض. بالطبع هي قلقة عن امكانية دفع القرض. لكنها عنيدة حقا ولكن ليس للاستمرار في هذا الجدال.
بعد تنظيف الطاولة، اخذت كاترين جوشوا في جولة عملية على الارض المتبقية من المزرعة. وعرفته على كل النساء هناك والاطفال الذين كانوا يتوقفون عن اعمالهم ليبتسموا له. وبينما كانا يمران، كانت الناس هناك تقدم الهدايا الى جوشوا، فعاد الى منزل كاترين محملا بأكياس من الخضار الطازجة وأوعية من العسل وكمية كبيرة من الجبن. ظهرت جاكيندا على الفور، فقالت لها كاترين انها ستطعم الحصان وتعيده بنفسها. لكنها كانت متعبة ومحبطة. لكن جاكيندا اقترحت عليهما انها ستحضر دجاجة للعشاء. نظرت اليها كاترين لتفهمها انه لن يكون هناك عشاء بينهما، لكن جاكيندا رفعت كتفيها وقالت انها ستعود بعد فترة قصيرة. نظرت كاترين الى سيارة جوشوا، فتبعها بنظراته. قال ببطء:«لقد استمتعت كثيرا في هذا النهار، لكنني متأسف...»
«متأسف لا يمكنك ان تقرضنا المال؟ لا تقلق انا افهم. افهم اصحاب البنوك لا يراهنون الا على الاشياء المضمونة. للحظة تمنيت ان تكون مختلفا. اعتقدت انك مختلف،

لكنني ارى انك تماماً مثل الجميع. حذر. مع اننا لا نتحدث الا عن شاحنة صغيرة. بالطبع ثمنها مجرد مبلغ لا يذكر في بنك كبير مثل الذي تعمل فيه. لماذا لا تقدم على المخاطرة لمرة في حياتك؟ فما الذي ستخسره؟»

«قلت لك...»

«ان حدث شيء ما ولم نتمكن من دفع القروض، ستصبح الشاحنة لك. سأسلمها لك شخصياً. وعندها سأساعدك في بيعها.»

تجهم وجهه وقال:«ليس الامر بهذه السهولة. ما كان عليّ القدوم. لم اكن اعلم انك كنت تعتمدين كثيراً على هذه الزيارة.»

قالت بإصرار:«لا، غير صحيح.» وهذه هي الحقيقة. هي لم تعتمد على الزيارة. لكنها تأملت فقط. ومرة ثانية ها هي آمالها تندثر. ومرة ثانية من خلال موظف بنك التقطت الرزم والاكياس وبدون اي عناية وضعتها بين ذراعيه.

ظهر الضيق على وجهه، قال«وداعاً.» وسار نحو سيارته.

الفصل الثالث

عندما وضع الاكياس في المقعد الخلفي في السيارة رأى ماء على الطريق وبقعة تحت السيارة. تنفس بصوت عال ونظر بسرعة نحو المنزل. لم تكن كاترين على الشرفة. لقد اوضحت انها لا تريد رؤيته مجددا. لكنه اعتقد انها تريد ان تراه يغادر لتتأكد انها لن تراه ثانية. استلقى تحت السيارة على الرصيف الحار، وشعر بالحرارة تصل الى جلده عبر قميصه وبنطاله. شتم بصوت عال ووقف. مبرد السيارة جاف. فسار نحو المنزل وطرق على الباب.

سمع صوت انهمار الماء من مكان ما في المنزل. على الاقل لديها ماء. مع انها تطبخ على موقد من الحطب وليس هناك كهرباء. هل هي تغسل الصحون ام تستحم؟ تصورها تستحم فشعر بالحرارة تزداد في جسمه. جلس على الشرفة وعندما سمع صوت المياه يتوقف، وقف وطرق على الباب، مرة ثانية.

قال بصوت عال:«مرحبا، آسف على ازعاجك، لكنني بحاجة الى بعض الماء لمبرد السيارة.»

قالت بصوت مرتفع:«انتظر لحظة.»

فتحت الباب، قدمت له كوباً معدنياً ملينا بالماء، ولم تقل ولا كلمة. ربما اعتقدت انها حيلة ما كي لا يغادر.

قال يؤكد لها:«سأعيدها على الفور.» استدار وسار

بسرعة نحو سيارته. عندما سكب الماء في المبرد فانهمر الماء من خرطوم المياه المطاطي. شتم بنفسه، فربما لا تزال امام الباب. كان عليه ان يدرك ان المياه قد وصلت الى درجة الغليان في مكان ما بين لاليوز وبالمور لتمزق الخرطوم. كل ذلك مفهوم، لكن الذي لا يفهمه لما يجب ان يحدث ذلك اليوم.

جلس على الطريق في ظل السيارة وحدق بالمنزل الصغير. لو انه في المدينة لكان اتصل بشاحنة لتقطر السيارة وبسيارة اجرة. لكان اشترى خرطوماً جديداً، لكنه في بالمور، حيث لا شاحنة ولا قطع احتياطية، والاسوء من كل ذلك لا يوجد مكان ليختبىء من حرارة الشمس، مع انه على مسافة قصيرة منه يوجد منزل مريح لامرأة اميركية، وكان من الممكن ان يكون في وسط الصحراء وربما كان ذلك افضل له. لقد استعد كل ما يمكنه الحصول عليه من استقبالها له. ربما يستطيع النوم في الحقل، كما وان لديه الكثير من الطعام، فلن يجوع. فقط لو ان الطقس ليس بهذا الحر. مسح جبينه وفكر بكاترين، والتي لا تزال رطبة وباردة بعد الاستحمام. لو انه لم يضيع الماء الذي اعطته اياه، لكان شربه الآن.

والآن ها هو يهذي. لقد اعتقد انه رآها على الشرفة، مرتدية بنطالاً قصيراً وقميصاً ويديها على خصرها. وقف ورمش بعينيه لينظر مجدداً. انها حقيقية وهي تحرك شفتيها. قالت:«ما الذي تفعله هناك؟»

سار ببطء نحو المنزل، وهو يحمل الكوب بيده:«هناك مشكلة في سيارتي، وأنا اتساءل ان كنت استطيع استعمال الهاتف؟»

بدت متفاجئة:«وبمن ستتصل؟»

«بمرآب ما.»

قالت:«حتى ولو كان لدي هاتف، لا يمكنك الاتصال بمرآب، لأنهم لا يعملون نهار الاحد.»

«حسناً، سأتصل اذن بشاحنة لتقطر سيارتي.»

«واجه الواقع، بنتلي. لا مرآب هنا ولا شاحنة للقطر. فما الذي تبحث عنه؟»

«خرطوم من المطاط، فخرطوم السيارة قد تمزق.»

«حاول ان تجد واحداً في لاليوز، وان لم تفعل، فلا بد انك ستجده في بوغوتا.»

هز رأسه ببطء وقال:«حسناً، لن اخذ المزيد من وقتك. لقد كنت اكثر من لطيفة معي وسأرحل الآن.»

سألته وهي تتنفس بضيق:«الى اين انت ذاهب؟»

«عائداً الى المدينة.»

«وكيف ستفعل ذلك، سيراً على الاقدام؟ اكره ان اخيب أملك، لكنك محجوز هنا طوال الليل، او على الاقل نصف الليل، ستنطلق الشاحنة عند الساعة الثالثة فجراً. فيمكنك العودة فيها لشراء خرطوم من البلدة غداً. وحتى ذلك الوقت...»

قال يؤكد لها:«لا تقلقي بشأني، سأبقى في سيارتي. ولدي الكثير من الطعام.

نظرت الى وجهه المتعب والى قميصه الرطبة. قالت:«لم لا تدخل من اجل شرب كوب من الماء؟»

قال وهو يتبعها الى المطبخ:«شكرا لك.»

راقبته يشرب الماء حتى آخر نقطة قبل ان يضع الكوب في المغسلة. وقف يراقبها. عليه ان يغادر قبل ان يتصرف بحماقة. وما ان استدار، حتى قالت له:«ان كنت ترغب في الاستحمام بماء بارد، يمكنك ذلك، لأنني استعملت كل المياه الساخنة.»

قال:«الاستحمام بمياه باردة هذا ما احتاجه بالتحديد.»

ادخلته الى غرفة الحمام وعرضت عليه ما يحتاجه ثم اختفت. وقف تحت المياه وتمنى لو انها تقبل بالشاحنة كهدية، عند ذلك قد يصبحان صديقين. لديه شعور انها فخورة بنفسها تماما كالمرأة الهندية. فخورة لدرجة انها لا تقبل اي احسان. هو يفهم ذلك. فهذا ما يفعله الفقر للناس.

وجد كاترين تجلس تحت ظل شجرة وراء المنزل وتضع حبات الفريز في صناديق صغيرة لتبيعها في السوق. رفعت رأسها فأسقطت عددا من حبات الفريز على الارض. والان بعد ان نزع عنه الغبار والاوساخ بدت ملامحه القوية ملينة بالإثارة وهو يحدق بها. في اللحظة التي كانت مستعدة فيها لتجعله يمضي الليل في سيارته، ظهر امامها وكأنه في بيته، وكأنه ينتمي الى هذا المكان، مثلها. بعناية التقطت حبات الفريز وتابعت عملها. ثم قالت بهدوء:«جاءت جاكيندا وأحضرت دجاجا للعشاء.»

قال:«عشاءك.»

«وعشاءك، ايضاً. لقد قالت ذلك بوضوح.»

«هذه مبادرة لطيفة منها.»

ابعدت كاترين الصناديق وهي تقول:«انها خائفة ان ادعك ترحل، لأنها ترى انك املي الاخير قبل ان اصبح عانسا.»

اتكأ على جدار المنزل وهو يلف ذراعيه الى صدره:«لا خوف من رحيلي اليوم. لماذا لم تخبريها عن رأيك في موظفي البنوك قبل ان تعقد آمالها عليّ؟ ألم تخبريها اننا اوغاد نعمل على افلاس المنازل وتشريد الابرياء من النساء والاطفال؟»

وقفت وهي تحمل سلتها:«لم اقل ذلك مطلقاً. اعلم انك تقوم فقط بعملك. فقط تمنيت...»

«تمنيت لو ان هذا ليس عملي. احياناً هذا ما اتمناه ايضاً. لو انني مزارع، لكنت عانقتني اليوم تحت ظل الشجرة. أليس كذلك؟»

اتسعت عيناها وخفق قلبها محذراً:«انتظر لحظة، لا تقفز الى الاستنتاجات. انا لا ابحث عن مزارع. وانا لا ابحث عن اي كان. اعترف ان هناك شيئا ما بيننا. انا لا افهمه، لكنني لا انكره.»

هز رأسه وقال:«مثل دوي البرق. انت لست بحاجة لتفهميه كي تشعري به عندما يدوي.»

هو يشعر مثلها. لذلك انه الوقت المناسب لتضع حداً الان لما يحدث بينهما:«انت على حق، انا فعلا لدي اشياء ضد اصحاب البنوك وأنا لا استطيع تغيير ذلك، ولا انت، ولا يهم ما الذي تفعله، حتى ولو قرضتنا المال.

لذلك يجب ان تكون علاقتنا علاقة عمل فقط. بالطبع اعطانا المال عمل جيد من قبلك. سنعتني بالشاحنة وسندفع الاموال في الوقت المناسب. وستحصل على زبائن جدد.» اضافت بسرعة:«وأين الخطأ بذلك؟»

«لا شيء، من الناحية النظرية. لكنني قلت لك...»

سارت امامه وهي تقول:«اعلم ما الذي ستقوله ولا اريد سماعه. لننهي الامر. نحن مجبران على البقاء معا لبضع ساعات قادمة. وبعدها ستعود الى عملك وأنا سأعود الى الزراعة.»

شعر جوشوا وكأنها صفعته على وجهه، قال:«أسف انني افسدت يومك. هل هناك اي شيء استطيع القيام به لأعوض عليك؟»

«يمكنك ان تبدأ باشعال النار كي نطهو الدجاج. وهكذا لن نحرق المنزل.» استدارت وسارت نحو المطبخ.

عندما اتت الى الخارج من جديد، رأت الدخان يتصاعد من النار. جهزت الطاولة ووضعت وعاء من الرز وطبق من البندورة الطازجة. ثم غرزت شوكة في الدجاج لترى ان أصبح صالحا للأكل.

بعد ان اغتسل، اجريا حديثاً مهذباً وهما يأكلان. لكن عندما لم تكن تنظر إليه كان يسمح لنفسه بالنظر إليها ملياً. وعندما نهضت لتحضر القهوة، علم انه لن يرى مطلقاً النمش على ركبتيها، لأنها غداً سترتدي الثياب الفضفاضة وغداً سيضع نهاية لكل شيء.

وقف وسار حول الباحة. كانت الشمس على وشك

المغيب عندما شاهد الارجوحة التي تتسع لأثنين تتمايل من جراء الهواء اللطيف. قال لنفسه، فرصة نادرة. وضعت كاترين ابريق القهوة وفنجانين، قالت محذرة:«لا تشعر بالراحة كثيرا، فهذا هو مكان نومي.»

«لاتقلقي،سأتمدد على المقعد الخلفي في سيارتي.ولاتنسي ان توقظيني كي لا تفوتني الشاحنة التي سأذهب فيها.»

«لا داع لذلك، يمكنك ان تنام في غرفة نومي في الطابق العلوي. ستصبح باردة بعد قليل وهكذا لن احتاج كي اوقظك، لأنك ستسمع صياح الديك.»

«هل انت متأكدة...»

«بالطبع. فأنا لا استعملها في الصيف.» سكبت القهوة وقدمت له فنجانا. هي مصممة على القيام بدور المضيفة حتى النهاية، ولحسن الحظ، لن يستمر ذلك الا لبضع ساعات فقط. وبعدها سيختفي جوشوا بنتلي من حياتها.

ما ان انهى قهوته حتى قادته الى غرفتها حيث لا يوجد الا سرير ضيق وخزانة من جوارير. احتاجت للحظات لتأخذ قميص نومها وغطاء من على السرير.

اسرعت في نزول الدرج، وعلى رؤوس قدميها مرت امام النار واستلقت على الارجوحة، وضعت الغطاء فوقها. ولاحظت انه اطفأ الضوء في غرفتها. اغمضت عينيها متمنية ان تنام. لكنها فكرت في الرجل الذي في غرفتها وفي سريرها. اضاء الغرفة من جديد. لماذا لا ينام؟ ألم يقل انه استيقظ عند الساعة الخامسة صباحا. سمعت وقع خطواته على الدرج، ثم في

المطبخ. وصوت ارتطام الزجاج. ما الذي يفعله «جوشوا؟»

اقترب من الباب الخلفي وقال:«لم استطع النوم. ربما بسبب القهوة. كنت ابحث عن المياه.»

«ستجد المياه في صندوق الثلج.»عاد الى المطبخ، لكنها رأته من جديد عندما ظهر في الباحة، عاري القدمين. ارجع رأسه الى الوراء وقال وهو يصفر:«ما أجمل منظر السماء هنا. من غرفة منزلي تبدو مختلفة جداً.»

قالت موافقة:«هناك كثير من الاضواء المصطنعة.»

«انظري، ذلك التقاطع الجنوبي. اتيت الى هنا منذ اسبوعين. وهذه هي المرة الاولى التي أراه فيها.»

وقفت كاترين ولفت الغطاء حولها ثم اقتربت منه:«أين امضيت هنا ثمانية عشر شهراً ولم أجده بعد.»

«هذا لأنه يشبه الطائرة الورقية اكثر من التقاطع. فلس هناك نجمة في الوسط.» اقترب ووقف وراءها وضع يديه على كتفيها.

شعرت بحرارة يديه فوق الغطاء. قالت لنفسها انها تستطيع ان ترى النجوم من الارجوحة ايضا، لكنها بقيت واقفة مكانها، وهي تتكىء عليه.

قال بنعومة:«في الواقع، الارجوحة هي المكان الافضل لرؤية النجوم.»

سألته:«لك ام لي؟»

قال وهو يمسكها ويسير برفقتها نحو الارجوحة:«يبدو انها تتسع لاثنين.»

ترددت قائلة:«لا اعلم، لم اجرب ذلك من قبل.»

فما ان جلس جوشوا على الارجوحة قربها حتى التصقا قرب بعضهما. وضع يديه تحت رأسه وتابع محاضرته، وهو لا يدرك ما تشعر به حياله. ذلك الشعور الذي بدأ يتنامى منذ ان رأته في السوق. بدا صوته مريحا جداً وهو يشرح لها حدود القطب الجنوبي. فاستدارت الى جنبها. عليها ان تقول له ان يصعد الى غرفته، لكن الغرفة حارة جداً والهواء هنا منعش. همست:«هل تعلم لقد دفعت كثيراً ثمن المانغا.»

وقبل ان تنجرف بالنوم، شعرت بيده على شعرها، قال:«اعلم، لكن يستحق الامر ذلك.»

عندما سمع صياح الديك، تنهدت كاترين ودفنت رأسها بالغطاء. احتاجت لحظة طويلة لتدرك انها ليست بمفردها. قالت بحزم:«حان الوقت لتنهض.»

قال وهو يبتسم:«كنت في وسط حلم رائع.»

ردت بضيق:«أسفة، لا وقت للأحلام. ستصل الشاحنة في غضون دقائق . وأعلم انك تريد الوصول الى البلدة.»

جلس على حافة الارجوحة ومرر يديه في شعره، كانت ثيابه مغضنة، ووجهه نصف نائم ومع ذلك ادركت انها لا تزال تراه الرجل الاكثر وسامة. استدارت قبل ان تقول شيئاً سخيفاً:«سأذهب لأبدل ثيابي.»

راقبها ترحل وهي تركض. امتلأ رأسه بالحلم الذي كان يعيشه، وهو يضمها بين ذراعيه في ارجوحة على شاطىء في منطقة استوائية. صوت بوق ايقظه من حلم

اليقظة. سار عبر الباحة حتى وقف تحت نافذة غرفة النوم، صرخ:«كاترين؟»

اطلت من النافذة بضفيرتها ووضعت وشاحها.

سألها:«هل حذائي هناك؟»

ومن دون ان تتكلم رمت له الحذاء. ثم اقفلت النافذة.

قال بصوت عال للنافذة المغلقة:«شكراً.» ثم غسل وجهه في المطبخ وانتعل حذاءه ووقف امام الشرفة. على جانب الطريق اصبح الضوء باديا بشكل واضح. نظر الى سيارته بغضب وقال بصوت عال:«خائنة، اين تكونين عندما احتاج إليك؟» وعلى هدير الشاحنة لم يسمعها تسير وراءه.

قالت بمرح:«لا تدعني اقاطعك، ماذا كنت تقول؟»

نظر إليها وعلق باستياء:«انها طريقة عملية مشهورة جداً التحدث الى السيارات، فهي بحاجة للتشجيع مثل الناس.»

«حسناً، لم يبدو لي انك كنت تشجعها.»

«ما تحتاجه هذه السيارة هو رفسة على عجلاتها.»

فتحت فمها لتجيب لكن سمعت صوت مكابح الشاحنة تتوقف قرب منزلها. ساعدها بحمل الفريز ووضعها على رف واسع بين اكياس الخس والمانغا.

رحبت به النساء اللواتي رأهن في الحقل، وأجلسنه قرب كاترين وانغمسن في الثرثرة في اللغة الهندية. نظر الى كاترين متسائلاً، فابتسمت له وتلك كانت اول ابتسامة منذ ان وصل البارحة. ومع تلك الابتسامة اشرق نهار جديد مليء بالاحتمالات. مع كاترين لوغان؟

لا. ربما ان تراه ثانية. لن يذهب الى السوق مرة ثانية وسيشتري حاجته من اي متجر قريب في البلدة. فهي لا تريد رؤيته، وهو لا يريد رؤيتها.

سألها:«عما يتحدثن؟»

لمعت عيناها وقالت:«عنك وعني. تردنّ ان تعرفن ما الذي حدث البارحة. فهن تشعرن بالفضول.»

«وهل اخبرتهن؟»

«ليس هناك ما يقال. تناولنا العشاء وذهبنا الى النوم، استيقظنا وها نحن هنا.» حركت وشاحها كي لا تنظر إليه.

قال وهو يحدق بها:«نسيت المحاضرة عن النجوم.»

وتمنى ان يرى اي رد فعل، فلم تخيب أمله.

لمعت عيناها وقالت:«لا تذكر اننا نمنا معاً على الارجوحة. كلام من هذا النوع يدعو الى اطلاق الرصاص هنا. فهنّ لا تثقن بالصداقة والعلاقات العادية، ثق بي.»

امسك بيدها وهزها وهو يقول:«سأثق بك إذا وثقت بي. والان دعيني اشرح لهن كل ما حدث.»

فتحت فمها لتعترض، فرفع يده وقال:«اعطني فرصة.»

استدار محدثاً دونا جاكيندا بلغة:«سيارتي، تعطلت.»

اعادت جاكيندا رأسها الى الوراء وضحكت بصوت عال، لكنه تابع:«والآنسة كانت لطيفة فقدمت لي مأوى في الليل.» علا صوت موافقة النساء، فعمدت كاترين على جذب حافة القبعة فوق عينيها.

سألها جوشوا:«ما الذي حدث؟ اعلم ان لغتي ليست بارعة، لكن ما الذي قلته؟»

هزت رأسها وقالت:«لا يهم ما الذي قلته. فهن تعتقدن انهن تعلمن ما الذي حدث. بكل الاحوال، لقد اسعدت نهارهن.»
نظر حوله ولم يفهم كلمة مما يسمعه قال:«كم مرة تاتين الى البلدة؟»
اخيراً اصبح بإمكانها التحدث براحة:«مرتين في الاسبوع في موسم القطاف. نحن افضل من جميع النساء في السوق، لأننا نبيع محصولنا وهكذا نحتفظ بأرباحنا، او كنا سنفعل لو...» توقفت عن الكلام ونظرت الى السائق.
فأكمل عنها:«انكن لستن بحاجة لدفع المال الى السائق لو ان لديكن شاحنة.»
«انت من قال ذلك، وليس انا.» نظرت اليه وتابعت:«لكل خمسة وكل حبة مانغا ولكل باقة بقدونس، يحصل على النصف.»
سأل بتجهم:«كم يقبض؟»
«لا يتعلق الامر بما يقبض، بل بالفائدة. نحن لا نملك المال الكافي لندفع له عند الصباح، وعند المساء تصبح الفائدة خمسين بالمئة.»
عقد حاجبيه وقال:«هذا يبدو خداعاً.»
«بالطبع، لكن لا خيار لنا. فقط نريد ان نكسر هذا الحصار. هنّ تفكرن ان هكذا هي الامور، لكنني اعرف اكثر منهن. اعلم ان البنك يقرض المال في الربيع ويسترده في الخريف.» ترأى له وجه العجوز غرانت، فتابعت:«نظرياً.» قال بحزن:«انت تعلمين ما الذي يحدث ان لم تستطيعي دفع القرض.»

«بالطبع اعلم. رأيت مزارع تباع. ورأيت حالات طلاق وانتحار. لكنني لا اتكلم عن رهن مزرعة هنا نحن نتكلم عن شاحنة، شاحنة واحدة، حتى ولو كانت مستعملة لكن بحالة جيدة.» مسحت فمها بظهر يدها وتابعت:«انا آسفة، وعدت نفسي ان لا اتكلم بالموضوع اكثر من ذلك.»
انعطفت الشاحنة عبر طريق ضيق، فالتصقت كاترين به وعندما حاولت ان تجلس مستقيمة وضع ذراعه حول خصرها تحت الوشاح وأمسك بها. سألها بصوت منخفض:«مازلت تشعرين بالألم عندما تفكرين بمزرعتك، اليس كذلك؟»
«صحيح.» فهي لا تريد التحدث عن الامر، لكن احياناً يعاودها ذلك الشعور كالكابوس.
«هل انت متأكدة انك تريدين المخاطرة من جديد بالتعامل مع البنك وموظفيه؟»
نظرت حولها الى النساء المليئات بحب العمل والثقة، قالت:«بالطبع، فالامر يستحق ذلك. ان لم تخاطر، فستبقى دائما في المستنقع. ان حصلوا على القرض...» عضت على شفتها، فقد صممت ان لا تذكر الأمر مرة ثانية. اتكأت الى الوراء واغمضت عينيها.
توقفت الشاحنة، ففتحت كاترين عينيها، انها متفائلة وواثقة بالحياة وهو يعلم انه سيفعل كل ما في وسعه ليحصل على هذه الثقة، وليحصل لهن على القرض.
استدار السائق في مكانه وهز رأسه اليه، فتحركت النساء جانبا ليتمكن من القفز فوق الخضار ليصبح خارجا.

انطلقت الشاحنة من جديد، فصرخ:«شكراً.» لكن صوته لم يسمع. راقب الشاحنة وهي تنعطف وراء زاوية. لم تقل له حتى وداعا. ذهب الى منزله كي يستحم ويبدل ثيابه.

بعد الظهر تحول السوق الى اكوام من الصناديق الفارغة، وحرارة الشمس الساطعة حولت المتجر الى فرن. تثاءبت كاترين للمرة الثالثة فأشارت اليها جاكيندا قالت وهي تنزع مئزرها:«تعالي، سأذهب لرؤية صديقتي دونا مارغريتا، الخياطة، لقد وعدتها ببعض الفليفلة.» وضعت كاترين قبعتها جانبا وبعد ان مسحت التعرق عن جبينها تبعت جاكيندا بامتنان. ما ان وصلت الى اعلى التلة حتى نظرت الى تيرغابي وهي اجمل الجبال في الانديز، والقمة البيضاء تبدو بوضوح امامها. الحياة امامها انساها تعبها والاحساس بالخيبة لعدم تمكنها من الحصول على قرض.

كانت دونا مارغريتا منشغلة جداً لتتمكن من الاعجاب بالمناظر المحيطة بها. باختصار رحبت بصديقتها وتابعت التحدث مع الزبائن . لمست كاترين كنزة مصبوغة باللون الزهري الطبيعي معلقة عند المدخل، ابتسمت جاكيندا وقالت:«لقد صنعت خصيصاً لك عزيزتي. ربما نستطيع ان ندفع ثمنها بالمتاجرة بالبيض.» هزت كاترين رأسها وقالت:«لا داع، لدي مال، هدية من امي في عيد ميلادي.» ونظرت الىّ السعر المكتوب على ورقة ملصقة على الكنزة وقالت:«ليست غالية الثمن.»

حملت جاكيندا الكنزة وقربتها من كتفي كاترين وهمست:«دعي النقاش بالسعر عليّ.»

وعندما غادر الزبائن المتجر ركزت مارغريتا انتباهها على كاترين وجاكيندا. ارسلت ابنتها الى المنزل لاحضار قطعة من الصوف المشغول على اليد، وهو مزيج من الوان الزهر والقرنفلي والبنفسجي وجميعها مناسبة تماما للكنزة.

وقفت كاترين هادئة وهي تعمل على تركيز القماش على خصرها ووركيها وتديرها كأنها عارضة أزياء.

لا تذكر انها قالت نعم لكنها ايضا لم تقل لا بينما كانت النساء تعمل وتتحدث. وبينما كانت تراقب عملت ابنة مارغريتا على خياطة تنورة لها. واتفقت جاكيندا ومرغريتا على السعر. دققت كاترين بالثمن وخرجت الى المتجر. حسناً، بإمكانها ان ترسلها الى اختها بمناسبة العيد.

اصرت النساء في المتجر عليها كي تجرب الثياب الجديدة، فوقفت وراء الصناديق وارتدت الكنزة الناعمة والتنورة الجميلة ثم ارخت ضفيرتها وتركت شعرها الاسود يتساقط على جهة واحدة.

تلتف التنورة حول وركيها وتتسع لتصل الى ركبتيها، مديت يديها ولتسعد النساء حولها التفت امام اكوام البقدونس والبطيخ. ادركت فجأة ان هناك ظلا ظهر امام السوق. ومن دون ان تأخذ أي وقت لتبدل ثيابها بدأت في تحضير الصناديق لتعود الى المنزل. لكنها لمحت بطرف عينها جوشوا يقترب.

نظر الى كنزتها وتنورتها، سألها:«هل ستذهبين الى مكان ما؟»

«نعم، الى البيت.» ثم لاحظت نظراته فعلقت:«آه، انت تقصد الثياب، هذه ثيابي الجديدة وقد اشتريتها من صديقة جاكيندا الخياطة.»

سعدت جاكيندا برؤيته وعاودت عملها بينما تحول لون وجه كاترين تماما كلون كنزتها.

قال:«سعيد انني تمكنت من اللحاق بك. انا مدين لك بعشاء، كما وان لدي اخبار جديدة لك.»

هزت رأسها وقالت:«انت لا تدين لي بشيء، الا تستطيع اخباري ما تريده؟ ستصل الشاحنة بعد قليل.» وبدأت تضع البطاطا بالصناديق من دون ان تعلم ما الذي تفعله.

«يحتاج الامر لأكثر من عدة دقائق. سيأخذ حوالى ثلاث ساعات، تقريبا لنتناول العشاء في مكان قريب هنا.»

«لا حاجة لكل هذا الوقت في النادي الشعبي في البلدة.»

«هذا هو المكان الذي يعج بالمتطوعين من بيس كرويس.»

«نعم، انه دائم الاكتظاظ، لكن طعامه جيد ورخيص.»

هز برأسه وقال:«لن نذهب الى هناك.»

«آه.» فجأة اصبحت بدون نفس وبدون فاكهة او خضار لتنشغل بها. بدأت النساء بالسير نحو الشاحنة، وهن تحملن الخضار المتبقية. سألت بضيق:«وكيف اعود الى منزلي؟»

اجاب:«بسيارة اجرة. وأنا سأذهب الى هناك لأعود بسيارتي، بكل الاحوال فلقد احضرت الخرطوم.» ورفع حقيبته الصغيرة، ثم اعادها الى الارض وتابع:«اعلم ما الذي يزعجك. لا تعلمين كيف تخبري جاكيندا والنساء، انا سأتولى اخبارهن.»

بفم مفتوح راقبته يتحدث الى جاكيندا وهي تمر امامه حاملة عددا من الصناديق الفارغة، بلغته المحدودة وبحركة يديه، بأنه سيأخذ الأنسة الى العشاء وسيعيدها في سيارة اجرة قبل طلوع الفجر.

لم يكن هناك اي شك بموافقة جاكيندا. فنظرة عينيها تعبر عن اكثر من الف كلمة. وقبل ان تدرك وجدت كاترين نفسها تسير مبتعدة عن السوق ويد جوشوا على مرفقها.

www.libtool.com Deprived of affection

الفصل الرابع

الخروج من الشارع المليء بالناس والضجة ودخول مطعم روبيرتو بدا كالصدمة لها. فجأة كل شيء هادئ وأنيق. سار نحوهما نادل في بذلة سوداء على الارض الخشبية استقبلهما بترحاب.

قال جوشوا:«مساء سعيد، غيلرمو.»

لمعت عينا غيلرمو وهو ينظر الى كاترين، ابتسم وقال بلغة انكليزية! «عشاء لاثنين، سيدي؟»

اومأ جوشوا رأسه ووضع يده على ظهر كاثرين. تبعا غيلرمو عبر الطاولات المضاءة بالشموع. في زاوية بعيدة جلسا على المقاعد المصنوعة من الجلد الناعم.

نظرت كاترين اناقة المكان. من مكان ما في الجهة المقابلة من الغرفة شخص ما كان يعزف على البيانو. وبعد ان اضاء غيلرمو الشمعة على طاولتهما غادر. انار ضوء الشمعة وجه جوشوا. لم يبدُ كأنه مضى الليلة على الارجوحة.

فتحت لائحة الطعام ونظرت الى المقبلات.

تمتمت:«اه، تماما كما في بلادنا.»

«لا، ليس كموطني.» وضحك بنعومة.

سألته:«هل تأتي الى هنا عادة؟»

«كل ليلة.»

فتحت فمها متعجبة.

قال:«اشعر بالراحة هنا كما وان فرن الغاز لم يصل بعد الى الشقة. وعندما يصل...» ابتسم وعلق:«من المحتمل سأستمر في تناول الطعام هنا كل ليلة.»

هزت رأسها بخيبة أمل. سألها:«يبدو ذلك مملا؟»

اعترفت:«قليلا.» مع انها وهي تنظر إليه لم تشعر بأي ملل. ابعدت نظرها عنه ونظرت الى اللائحة من جديد. شعرت بالرعب من الاسعار فقالت:«سأدعك تطلب ما تشاء. ولا تقل لي انك تأكل ذات الطعام كل ليلة.»

وضع مرفقيه على الطاولة، لمعت عيناه بالمرح وقال:«انا لست عديم الخيال هكذا.»

وعندما عاد النادل طلب سلطة خضار وبفتاك.

نظرت إليه وسألته:«قلت ان لديك اخبار؟»

«نعم. يمكنك الحصول على الشاحنة.»

ظهرت ابتسامة على وجهها، ثم اختفت على الفور:«انها ليست هدية؟»

«بل قرض. ومن النوع الذي تريدينه.»

«وكم هو معدل الفائدة؟»

«ثلاثة بالمئة.»

«وكيف سيتم ذلك؟»

«من خلال دفع مبلغ صغير من المال كل اسبوع، كما وان عليك ان تشتري واحدة من الشاحنات التي يمتلكها البنك. لم افعل ذلك من قبل، ولا احد حتى. ومما رأيته من النساء العاملات اعتقد ان الامر سينجح. لكن بالطبع هنّ بحاجة الى مساعدتك.»

شرح لها طريقة العمل وهما يأكلان. ولم تفارق عيناها عينيه وهو يخبرها ان عليهن املاء اوراق الطلب وإجراء اجتماع في البنك قبل ان يصبح الامر رسمياً. سألته:«وسيحصلن على دفتر شيكات وأوراق اعتماد وكل شيء؟»

اومأ برأسه. فقد احتاج لنهار كامل حتى تمكن من اقناع المدراء. وهذا عمل ضد كل المبادىء التي اتفقوا عليها لتصحيح الاوضاع في اروكا. فلن يكون هناك اي قروض زراعية، ولا قروض فيها اي مخاطرة، ولا قروض حتى للموظفين. تحدث ل حتى شعر بالم في حلقه.

لكنه تمكن من اقناعهم، ومن اقناع نفسه في ذات الوقت فلقد عرف ان نجح الامر سيتمكنوا من القيام بقروض اخرى للموظفين وللمزارعين. وان لم ينجح، سيشعر بانه غبي، وسيخسر شهرته وقدرته على القيام بعمله هنا حتى قبل ان يبحث عن مناجم الفضة في طوكابامبا

لمعت عيناها، ومدت يدها لتمسك بيده:«شكرا لك.»

امسك بيدها للحظة وهو يشعر بحرارة بشرتها. نظرتها دافئة وثابتة. فهي متأكدة جدا من نفسها، متأكدة من القرويين ومن قدراتهم. هو يعلم ان الامر يتعلق بشاحنة لا اهمية لها، لكن لا احد يعلم الى اين قد تقودهم. لا احد يعلم ان كانت حقا ستشكل اي فرق. لكنها اجبرته على القيام بأمر كان يتجنبه منذ سنين. المخاطرة. شعر وكأنه يقف على اعلى قمة في العالم والكل ينظر اليه ليراه يسقط على وجهه.

ابعدت كاترين يدها ونظرت بعيداً. تبدلت الموسيقى فشعرت باضطراب. لا يعقل انها مغرمة بمدير بنك كبير، شخص يشعر وكأنه في منزله في مطعم خمس نجوم. لا بد انها فقدت عقلها.

لكن كيف تفسر الشرر الذي يتطاير فوق طاولتهما. فنظرات عينيه تجعل من الصعب عليها ان تمسك فنجان قوتها بيد ثابتة؟ احضر النادل طبقين من الكريم والفاكهة. تذوقت الحلوى وقالت:«افهم الآن لماذا تأتي كل ليلة الى هنا. لكن لم يكن من حاجة لتحضرني معك. كان بإمكانك إخباري كل شيء في السوق.»

هز رأسه قائلا:«هذا عشاء عمل. كما وأني لم ادفع لك ثمن استعمالي للارجوحة.»

«انسى ذلك، واعتبر انك دفعت لي بالكامل ومع الفوائد.»

لمس ذقنها «ربما تستطيعين ان تنسي، اما انا فلا. فلقد نشأ الاهتمام بيننا منذ اليوم الاول الذي رأيتك فيه.»

قالت:«الهذا السبب تفعل ذلك؟ لأنك تهتم بي؟»

«بالطبع لا. هذه فرصة لي لأفعل شيئاً ما يذكر. علي ان اقوم بالمخاطرة. اذا نجح الامر، فسأصبح مشهورا بانني جريء ومقدام. وان لم ينجح...»

تابعت عنه«ستعرف بأنك احمق وعديم المسؤولية.»

«شيء من هذا القبيل. وسأعود الى بوسطن وراء مكتبي القديم قبل ان اعرف ذلك.»

فوضع جوشوا بطاقة الائتمان لديه على صينية صغيرة من الفضة. سألته:«هل سيكون الامر سيئا جدا؟»

«ان اعود الى بوسطن؟ لا. لكن وراء مكتبي القديم، بالطبع. هذا يعني انني فشلت هنا، وان سارت الامور على ما يرام هنا، سأعود الى بوسطن كرئيس اعلى لبنك عالمي.» انه غير معتاد على الفشل.

«الرئيس الاعلى بنتلي، جميلة على السمع.»

«عملت جاهدا للوصول إليها. بالإضافة الى عملي في قسم القروض، وفي اوقات الفراغ على الاستثمار والتأمين. كل الذي كنت بحاجة اليه بعض الخبرة العالمية. كان بإمكاني الذهاب الى بانانا السنة الماضية او إلى كولومبيا منذ سنتين، لكنني كنت منتظرا القدوم الى اروكا.»

ابتسمت قائلة:«وحصلت على ما تريده.»

سارا نحو الباب. الموسيقى اصبحت اعلى الان. سمعت كاترين اصوات الضجة من الشارع ومن وراتها وضع جوشوا ذراعه على كتفيها.

قال:«هناك شيء آخر اريد القيام به هنا.»

قالت وهي تحاول السيطرة على تأثرها بلمسته:«تقصد انك لم تقض على التضخم المالي او لم تقلل الدين العالمي؟»

«لا، ليس بعد. لكنني اعمل على ذلك.» امسك نفسه في اللحظة الاخيرة. كاد ان يذكر المنجم. بعد ان احتفظ بالامر سرا كل تلك السنوات، كاد ان يفضح سره لامرأة بالكاد يعرفها. تابع وهو يشير الى مبنى طويل:«اترين ذلك؟ هناك اعيش. في الطابق الاعلى.»

شهقت. شقة في الطابق الاعلى تطل على المدينة كلها.

وقبل ان تتكلم توقفت سيارة امامهما وعرض جوشوا على السائق ما يكفي من المال ليوصلهما الى بالمور.

ومن المقعد الخلفي نظرت عبر النافذة الى البلدة المشعة بالاضواء. بلدة لاليوز تضج بالساهرين وهي فتاة تذهب الى النوم باكرا، وتنتمي الى الريف. نظرت الى جوشوا بطرف عينها، فهو ينتمي الى المدينة ولا يهم أي مدينة. فهو يأكل كل ليلة في مطعم خمس نجوم وهي لا تفعل ذلك مطلقا. لا تعلم لماذا تشعر بالحزن. لقد عاشت سنين عمرها الثماني والعشرين من دون ان تطأ قدمها مثل هذه الاماكن ولم تكن بحاجة لتفعل ذلك. فهي سعيدة بحياتها البسيطة خصوصا الان بعد حصولها على الشاحنة. ولو لم تكن شبه نائمة، لكانت الان ترقص من الفرح. لكن عينيها تطبقان، رغم تصميمها ان لا تنام على الطريق. الامر التالي الذي ادركته انها تنام للمرة الثانية على كتف جوشوا في هذا النهار.

شعر جوشوا كأنه يغرق في طيات كنزتها من الصوف الناعم. لم يكن نهارا ولا ليلا، كما وانه ليس بنائم ولا مستيقظ. انه في مكان ما بين الاثنين. وكاترين معه، منطلقان عبر الظلام. شعرها متساقط على كتفيها ويلامس خده، لم يرد لتلك الرحلة ان تنتهي، لكن السائق اوقف السيارة امام منزل كاترين. جلس على الفور ودفع للسائق. ثم وقف على الطريق وهو يحمل حقيبته ومعطفه، متمنيا لو يستطيع ان يضع ذراعه حولها. لكنها كانت تنظر الى بيتها والى حديقتها، والى اي مكان ما عداه.

شعر بإحساس من العزلة، لكنه تمكن من الابتسام قبل ان يقول:«عمت مساء. سأغادر على الفور ما ان اصلح السيارة.» وفتح حقيبته ليخرج الخرطوم منها.

قالت بتردد:«حسنا.» تخيلها وهي تدعوه الى فنجان قهوة او الى تناول الفطور او الى النوم على الارجوحة. حتى كاد يشم رائحة القهوة او يتذوق الطعام وحتى شعر بتأرجح في الارجوحة.

«هل انت متأكد انك تعلم ما الذي ستفعله؟»

«بالطبع، انه مجرد عمل بسيط، استبدال الخرطوم. لقد اوضحوا لي في المرآب ماذا سأفعل. سأغادر قبل مرور عشر دقائق.»

استدارت نحو المنزل وقالت:«حسناً، شكراً على العشاء وعلى مرافقتي الى هنا... وعلى القرض.»

قال:«انت على الرحب دائما.» راقبها تغادر حتى تختفي في منزلها. لم تكن تلك الطريقة التي فكر فيها بنهاية الامسية. بقي جامدا للحظة منتظرا ان تضيء مصباحا يدوياً ذلك الذي رآه في غرفتها مساء البارحة. لكن بقي المنزل مظلماً وهادئا.

عليه ان يغادر المكان وكلما اسرع في ذلك كان هذا افضل له. مازالت سيارته في مكانها. نزع الخرطوم القديم امر سهل جدا. رماه على الارض، وتركيب الخرطوم الجديد لا يحدث أي مشكلة خصوصا انه يملك مفك البراغي، وعيناه قد اعتادتا الظلام.

ضغط على الملزم بقوة، برمة واحدة بعد وسينطلق عبر

الطريق عائداً الى الحضارة. لكن قفز الملزم وانقسم الى قسمين. انحنى والتقط القطع عديمة الفائدة. وبحذر شديد اغلق غطاء السيارة. اراد ان يضحك، ان يصرخ. لكن الاهم لديه هو ان ينام.

لم ينظر الى منزلها ولم يفكر في الارجوحة. فحتى لو اتت وتوسلت اليه لن يذهب. فلديه كبرياءه، ولديه سيارته. حتى ولو لا تسير، فهي له. صعد الى المقعد الخلفي، وضع رأسه على معطفه كوسادة، ولف ساقيه ثم اغمض عينيه. ما الذي سيفعله عند الصباح، لا يعلم. وفي الحقيقة، الان لا يهتم ابدا.

استيقظت كاترين على اشعة الشمس تتسلل من نافذتها. جلست وهي تشعر بالندم، فقد غفت على الفور ولم تسمع سيارة جوشوا تنطلق.

ارتدت ثيابها بسرعة، وسارت عبر الباب الخلفي الى الحديقة. تنشقت بعمق الهواء المنعش المليء برائحة الازهار. كم تشعر بالراحة لأنها في منزلها.

عليها ان تحلب الماعز وتجمع البيض كذلك ان تقطف البطيخ، لكن اولا عليها ان تجد جاكيندا وتخبرها عن الشاحنة. سارت حول المنزل، ووقفت جامدة مكانها. فسيارة جوشوا مازالت مكانها. رمت سلتها وركضت نحو النافذة الخلفية. رأته نائما هناك. دقت على النافذة، فرفع رأسه ورمش بعينيه. ابتسمت بالرغم عنها لمنظره الناعس. سمعت نفسها تقول:«ما الذي تفعله هنا؟» فرك وجهه وهي تفتح الباب. قال:«انكسر الملزم.»

نظرت الى القطعتين وقالت:«لماذا لم تخبرني؟»
خرج من السيارة ومرر يده في شعره، مازالت الكلمات الاخيرة ترن في اذنيه:«كم يحتاج الامر من مجهود لاغادر المكان في عشر دقائق؟» تابع بعد قليل:«أسف، لكن يبدو الامر غير طبيعي بعيداً كل هذه المسافة عن... عن...»
«الحضارة؟ هيا قل ذلك. نحن هنا نعيش في اكواخ بعيداً عن المباني الطويلة والهواء الملوث.»
وضع يده على كتفها وقال:«انا آسف ان بدوت متذمراً. فانا لست غاضباً منك، بل من نفسي. اريد ان اذهب من هنا وأنا متأكد ان هذا ما تريدينه ايضا لتعودي الى عملك في البطاطا وأنا في تقليل الدين العام.»
قالت بعد تفكير:«يمكننا ان نتحدث مع بادرو العجوز.»
«ومن يكون؟ قلت ان كل الرجال يعملون في المناجم؟»
«انه عجوز ومقعد تقريبا. لقد اصيبت ساقه في حادث في المنجم منذ سنوات عديدة. والان هو يعمل في تصليح الادوات المنزلية العادية.»
سألها:«اشياء مصنوعة من المعدن؟» هزت رأسها موافقة فأمسك ذراعها وتابع:«لنذهب ونراه.»
تبع جوشوا كاترين . مرا امام حقول البصل والبندورة. اراد ان يعتذر عن توتره، لكن الصمت طال بينهما حتى وصلا الى كوخ العجوز بادرو عبر الجسر الخشبي.
اخيرا دخلا الكوخ ورأى رجلا ضعيفا منحنيا فوق قطعة معدنية، رفع نظره اليهما. وعلى ضوء المصباح المعلق

عرفت كاترين العجوز بادرو على جوشوا، فحدق به للحظات طويلة.
قدم له جوشوا الخرطوم وأخبرته كاترين بما حدث. هز العجوز رأسه. وفيما هما يراقبان احنى قطعة معدنية وعمل عليها حتى اصبحت نسخة خشنة عن القطعة المكسور. تنفس جوشوا براحة ومدّ يده على محفظته، لكن الرجل هز رأسه وتحدث بسرعة باللغة الاسبانية.
قالت كاترين:«قال انه عمل ذلك كخدمة.»
اعترض جوشوا:«لكن ليس لدي اي شيء آخر لأقدمه له.»
«يقول ان لا تقلق، فالغرباء كانوا يعاملونه دائما بطريقة جيدة، في الايام الماضية عندما كان يعمل في المناجم.»
قال جوشوا وهو يراقبه يسير بتثاقل ليرافقهما الى الباب:«انت تقصدين مناجم التنك؟»
ترجمة كاترين ما قاله فاجاب بادرو:«لا، الفضة.»
سأل جوشوا:«اين؟»
اشار العجوز بيده:«هناك، ناحية الجبال في الجنوب.»
«اذا اردت الذهاب الى هناك، او رؤية تلك الاماكن، هل يستطيع مرافقتي؟»
ادهشتها الحماسة في صوته فقالت:«لا اعتقد ذلك، انه عجوز وأعرج.»
«ربما بإمكانه ان يرسم لي خريطة، او ان يخبرني كيف اصل الى هناك.»
سألته كاترين، لكن الرجل أجابها فقالت:«يقول انه لا يستطيع اخبارك، لأن انهيارا اغلق مدخل المنجم.»

حدق جوشوا بالرجل العجوز. هذا تماماً ما كان يسمعه من والده عن طوكا بامبا ومنجم الفضة فيها. آماله بالثراء وفشله الدائم. للحظة شعر كما كان يشعر والده، على حافة اكتشاف ما، ومن ثم بخيبة الامل. خارج المدخل وتحت اشعة الشمس المشرقة، تردد جوشوا. لكن عليه ان يعلم.

«المنجم، هل هو طوكا بامبا؟»

وبدون ان ينتظر ترجمتها اتسعت عينا الرجل العجوز. تحدث بسرعة. فقال جوشوا: «ما الذي يقوله؟»

عقدت كاترين حاجبيها وقالت: «يقول انه مندهش لأنك تعرف ذلك الاسم. انه الوحيد الذي يتذكر الاسم في هذه المنطقة. الباقون كلهم ماتوا.»

«كل شخص؟»

«كل شخص ما عدا بادرو والمعلم. لقد دفع المعلم لهم حصصاً من المنجم. وبادرو مازال محتفظاً بحصته.»

«ومن هو المعلم؟ وكيف يمكن ان اجده؟»

«ذهب الى البعيد والى الابد. لم يكن من الامان بقاءه هنا. ولم يكن من الامان ان يذهب.»

تحرك بادرو بانزعاج، فشكره جوشوا وغادرا. كان هناك سؤال واحد لم يسأله. كان متأكداً ان المعلم هو والده.

سار نحو السيارة وراقبته كاترين بصمت وهو يثبت الخرطوم الجديد. استدار ليقول لها وداعاً. عيناه صافيتان كلون السماء، لكن هناك خطوطاً من التعب حول فمه، وهناك ظلال لحية على خده. شعرت بالذنب،

فقد نامت براحة في غرفتها بينما كان ممدداً على المقعد الخلفي. لقد اخذها الى العشاء، وتمكن من الحصول على القرض. فهي تدين له بشيء ما. بل بالكثير. كما انها تريد ان تسأله المزيد عن المنجم. امسكت بذراعه. قالت: «ادخل وتناول الفطور قبل ان تذهب.» بدا متفاجئاً وهذا ما جعلها تشعر بالذنب اكثر، فتابعت: «ليس للامر اهمية، بعض الخبز والقهوة. لا بد انك جائع.»

قال: «هذا صحيح...» فسارا نحو المنزل البارد. وبينما كانت تراقبه اكل قطع من الخبز وقد وضع عليها الزبدة والمربى. ملأت فنجان قهوته ثانيا وجلست قبالته.

سألته: «كيف يمكن لك ان تعرف عن طوكابامبا؟»

«عرفت عنه من والدي.»

«هل كان هو المعلم؟»

«نعم. لا اعرف، لكنني متأكد من ذلك. واست الوحيد الذي املك اسهما في منجم فضة لا وجود له.»

«قلت ان والدك كان لديه قطعا غير معقولة.» وتخيلت ذلك الصبي، صاحب العينين الزرقاوين، مليئا بالدهشة.

اومأ برأسه وقال: «وهذه واحدة من تلك القصص. والتي كنت اراها الافضل. ففيها كل شيء، الخطر، والكنز والحماسة. كانت قصة جميلة لدرجة انني عندما كبرت اخذت اتساءل ان كانت صحيحة.» ونظر بعيدا.

شعرت بأن هناك شوقاً في نظراتها لا تستطيع تجاهلها. قالت بحماسة: «سأتحدث معه مرة ثانية عن المنجم، سنحصل على خريطة ونذهب للبحث عنه.»

www.liilas.com Digital Collection

عادت نظراته الى الغرفة والى الواقع، قال:«لا تزعجي نفسك فالامر غير مهم. من الممكن ان لا نجد شيئا.»
شعر بالحيرة من تبدل مزاجه.وقالت:«كما تريد.»
وعلى نحو مفاجيء وقف وشدها إليه، ضمها إليه بقوة وقال:«هذا ما اريده.» قبل جبينها ثم نظر الى عينيها.
صوت في مخيلته قال له انه ليس بحاجة ليسمح لها بالتأثير به اكثر. فبإمكانه ان يبتعد الان، لكن مهما كان ذلك الصوت، فقد قرر عدم الاصغاء. وعانقها بقوة. لكن بعد قليل ابتعد عنها وسار نحو الباب قائلا:«شكرا على الفطور.» توقف قليلا ومرر يده في شعره، فهو يشعر بالأسف لان لا مكان في حياته لامرأة مثلها. فكل شيء منظم في حياته، ولا وقت للنساء ولا لمناحم الفضة.
سارت برفقته نحو السيارة، وسألته:«متى سأراك ثانية؟»
اجاب:«الجمعة. هل بإمكانك احضار النساء الى البنك في الصباح؟»
«بالطبع.» اجبرت نفسها على التفكير بالقرض، وبما سيقدم للنساء هنا. وبأنها اخيرا ستحدث فرقا. هو من جعل الامر ممكنا. ابتعدت عن السيارة وبدون اي كلمة انطلق مغادرا. راقبته حتى اختفت السيارة عن الانظار.
لن تسمح لجوشوا ومنجم والده إن يتدخلا في حياتها الشخصية. احضرت وعاء نظيفا واقتربت من النعجة. لكن في مخيلتها سافرت عبر الجبال نحو منجم بعيد، حيث يستطيع رجل ايجاد حلمه وإمرأة تساعده على تحقيقه.

الفصل الخامس

فكرت كاترين انه لم يقف مرة مجموعة مثل هذه امام البنك العالمي في لاليوز. سمعت اصواتهن المقلقة ووقع خطواتهن على الدرج الرخامي. ضحكن جميعا من رؤية السكرتيرات بتنانيرهن القصيرة وأحذيتهن ذات الكعب العالي. المسافة قصيرة جدا بين البنك والسوق، لكن الشارع الذي يقع فيه البنك هو من عالم آخر من الاشجار والزهور والزينة. وصباح نهار الجمعة مليء بالسيارات والناس في طريقها الى العمل.
ومع آخر كلمة تشجيع من كاترين للنساء دفعت الباب الزجاجي ودخلت.
ساد الصمت فجأة، فندمت لأنها ارتدت ثياب مزارعة. شعرت وكأنها ليست في المكان المناسب تماما كما تشعر جميع النساء قربها. مسحت راحتي يديها بتنورتها وقالت لرجل وراء مكتب انها تريد رؤية السيد بنتلي. نظر اليها بارتياب لكنه رفع الهاتف.
في الوقت الذي وصل فيه جوشوا الى غرفة الاستقبال، اقتنعت كاترين انها حلمت بكل ما حدث. القبلة والقرض والشاحنة. لكن عندما رأته التقت نظراتهما وشعرت بالرسالة في عينيه تهدأ اعصابها.
ابتسمت له، وابتسم للفريق كله. انه يوم جميل، بل يوم تاريخي. دخلن الى غرفة حيث شرح لهن رجل عملية

القرض، ببطء ووضوح مع صور، في اللغة الاسبانية وبلهجة مامارا.

لمعت عينا كاترين من الفرح. فها هن تبدأن بمعركة جديدة، وقفت في آخر الغرفة، وهي غير قادرة على الكلام.

ضغط جوشوا بكتفه على كتفها وقال:«هل تعتقدين ان الامر سينجح؟»

«يجب ان ينجح.»

بعد الاجتماع، رجعت النساء الى السوق، بينما بقيت كاترين لتنظر الى الشاحنات التي يملكها البنك. اعطت قبعتها الى جوشوا لتنظر الى المحركات والمكابح والعجلات.

قالت وهي تنظر اليه من مقعد السائق:«لا اعلم، اكره ان افكر اننا نستفيد من خسارة احد ما.»

فتح الباب وأمسك يدها ليساعدها على النزول:«ذلك الشخص هو مجرد لص، ان كان ذلك يخفف عنك. استولت الدولة على منازلهم، سياراتهم وممتلكاتهم. وقد حصلنا على الشاحنات حتى قبل ان يستعملوها.»

«حسناً، في هذه الحالة.» لم تسمح لنفسها بالتفكير ما الذي سيحدث للشاحنة ان لم يتمكن من تسديد ثمنها. سألها:«تريدين هذه؟»

قالت بحزم:«اجل، ولا استطيع الانتظار حتى تراها النساء، كما وانني لا استطيع الانتظار حتى اقودها.»

عادا الى البنك. سألها:«الست خائفة؟»

«خائفة؟ كنت اقود جرار زراعي اكبر من هذه الشاحنة منذ كنت في الرابعة عشر من عمري.»

فتح الباب لها. وهو معجب كيف رفعت ذقنها بكبرياء. انه معجب بلمعان عينيها عندما تشعر بالحماسة كما وانه يستمتع بالفرح الذي سببته الشاحنة لها.

نظر الى ساعته وقال:«ماذا عن الغداء؟»

هزت رأسها قائلة:«لقد خسرت نصف نهار من العمل حتى الان. فأنا فاشلة جداً في البيع، لكنني مفيدة في امور اخرى.»

ابتسم قائلا:«انني متأكد من ذلك.»

«متى سنأخذ الشاحنة؟ اليوم؟»

«إذا عملت الى وقت متأخر لانهاء الاوراق. هل لديك رخصة للقيادة؟»

«حصلت على رخصة عندما وصلت الى البلد. سأرسل النساء مع طوماس. اليوم اما في الاسبوع القادم سنصبح مالكين للشاحنة ولعملنا. متى يجب ان اعود؟»

وضع قبعتها على رأسها ومرر اصبعه على خدها وقال:«قريبا.»

اومأت برأسها وغادرت. كانت الشمس مشرقة كالعادة، لكن شيئا ما فقد، انها كاترين.

انها تتدخل في عمله. انه يريدها بقربه طوال الوقت، لكن هذا غير ممكن. فالشيء الذي يعلمه انها ستقنعه بالذهاب الى المنجم او باستدانة المزيد من المال. عادت عند الساعة الخامسة. كان يزرع الارض ذهابا

وإياباً عندما دخلت الى البنك. قال لها ان اوراق الشاحنة اصبحت جاهزة، لكن اوراق الملكية لم ينته العمل منها بعد. لكن الذي لم يخبرها به انه لن يدعها تقود الشاحنة بمفردها في الليل، ولا يهم كم هي متمرسة بقيادة الشاحنات.

اومأت برأسها فنظر حوله. مازال هناك زبائن في البنك، والمكاتب تعج بالزبائن وراء الجدران الزجاجية. فالبنك يبقى مفتوحا حتى الساعة السابعة، وجوشوا عادة يعمل لساعة متأخرة. لكن ليس الليلة. وكاترين تقف امامه وضفيرتها على كتفها. لديه احساس قوي بامساك ذراعها والخروج الى الشارع والضياع بين الناس.

هذا ما فعله، فسألته:«الى اين سنذهب؟»

«لا اعلم. انت تعلمين المدينة بصورة افضل مني. خذيني الى اي مكان لم ازره من قبل. وهذا ليس بعمل قاس عليك. فانا لم اذهب الى اي مكان.»

«اي مكان؟» ولمعت ابتسامة على وجهها.

سارا عبر الشارع ومرا قرب معارض مليئة بالفضة والاواني المنزلية. الناس هناك ترتدي ثيابا هندية مثلها والازياء العادية مثله. غابت الشمس ومرت رياح باردة نزعت قبعتها عن رأسها. توقفت امام مبنى قديم، سألته:«هل ذهبت يوما الى بيننا؟»

امسك بقبعتها وقال:«لا اعتقد، ما هي؟»

قالت غير مصدقة:«انه مطعم في الهواء الطلق، والطعام شهي والموسيقى شعبية. مضى على

وجودك هنا شهر كامل ولم يأخذك احد الى بيننا؟»

«لم يأخذني احد الى اي مكان... ما عدا سوق رودريجيز. قالوا لي انني استطيع ان اجد كل شيء احتاج إليه هناك. وكانوا على حق.»

ابتسم لها فشعرت بقلبها يخفق بقوة. ضمت ذراعيها الى صدرها وحدقت به بتعمد.

سألها:«ما الامر؟»

«يصبح الطقس بارداً في بيننا بعد غروب الشمس. انت بحاجة الى كنزة.»

فتح بابا لمتجر، وعلى الفور تنشقا رائحة الجلد. قال:«ما رأيك بشراء جاكيت؟»

«ستشتري جاكيت من الجلد هكذا وبهذه السهولة؟»

«انا بحاجة لجاكيت من الجلد. ولم ادرك ذلك الا الآن.»

وقف عامل يساعده على نزع جاكيت البذلة ثم قدم له جاكيت واسعة الكتفين ولديها حزام على الخصر ذات لون بني.

لم تستطع كاترين الا ان تحدق به.

نظر اليها بحيرة، قائلا:«ما الامر؟ هل تبدو عادية جدا؟»

هزت برأسها، فهي لا تثق بصوتها. لكنها جذبته جانباً وقالت:«لا، انها جميلة، لكن لا يمكنك الجدال بالسعر هنا، فالاسعار محدودة.»

همس قائلا:«اعلم.» وبينما كان العامل يضع سترته في رزمة لاحظ عددا من الاحزمة المصنوعة من الجلد، سأل

كاترين:«هل تعتقدين ان بادرو العجوز قد يرغب بواحد من تلك؟»

مررت بيدها على الحزام مع الحقيبة الصغيرة المعلقة به، قالت:«رأيته يحمل ادواته في جيبه.» تأثرت باهتمامه وتابعت:«اعتقد انه سيسعد به.»

طلب من العامل ان يضيف الحزام على الفاتورة. وبعد ان دفع الثمن، غادرا المتجر نحو بيننا.

سألته كاترين وقد اسدل الهواء شعرها:«هل هذه هدية لتقول له شكرا، ام انك تفكر في ان تسأله مرة ثانية ليأخذك الى المنجم؟»

امسك ذراعها بدون وعي منه وقال:«اعلم ان ليس هناك شيئاً ما. لكن ربما يجب ان اذهب بكل الاحوال. هل يبدو لك كلامي منطقياً؟»

هزت رأسها. لم تقل شيئاً. لكن ربما الرجل اتى ليحصل على ميراثه.

استدارت الرؤوس لتنظر اليهما، الى الرجل الطويل القامة مرتديا جاكيت جلدية والمرأة الهندية الجميلة والتي تسير برفقته بثقة وراحة.

في نهاية الشارع دخلا بابا كبيراً الى بيننا. جلسا قرب بعضهما الى طاولة تكتظ بالناس، حيث الطعام يقدم على شكل عائلي. مررت كاترين الاطباق وراء بعضها البعض من الفطائر حتى آخر الطاولة. ولاحظت ان جوشوا أكل كل شيء قدم له.

وضع شوكته جانبا، قال:«هل لاحظت ان الناس تحدق

بنا، وتتساءل لماذا امرأة مثلك هي برفقة رجل مثلي؟»

«انت تتخيل ذلك. الناس هنا لتأكل وتسمع الموسيقى. كما وأنك تبدو رائعا.»

ابتسم وقال:«انت ايضاً، تبدين رائعة جداً.»

التقت نظراتهما بينما كانت الموسيقى تتهادى حولهما. لقد سمعت تلك الموسيقى من قبل، لكنها لم تشعر بها تلمس روحها هكذا. وعندما توقف العازف عن العزف على الناي، اقترب جوشوا منها وهمس:«لم اسمع يوماً عزفاً كهذا.»

قالت تعده«هناك المزيد.»

سمع بعد ذلك عزفاً على الغيتار اكثر تناغماً ونعومة، وساد نغم حزين مما جعلها تمسك بيده، ومن لمسة يده علمت انه يشعر مثلها تماما. عندما انتهى العزف لم يصفق احد. وبانبهار غادرا ووقفا في الشارع، يحدقان بالقمر. احتاجت كاترين لعدة لحظات لتعود الى الواقع.

تحدث جوشوا اولا:«قلت لي انه مطعم، لكن لم تقولي لي انه مكان نادر الوجود.»

«اجل انه رائع. علينا ان نذهب الان وعلي العودة الى المنزل. هل استطيع الحصول على الشاحنة الآن؟»

«لا.»

«لا؟ قلت لي اننا سنتأكد من انتهاء العمل وان سكرتيرتك تعمل على اتمام الامر.»

كانت تفعل ذلك، لكنها ذهبت الى منزلها الآن. والوقت متأخر جدا لتقودي بمفردك على الطريق.»

www.liilas.com Digital Edition

ردت بغضب:«قلت لك انني قدت عدداً من الشاحنات من قبل ومنذ...»

«منذ ان كنت في الرابعة عشر من عمرك، اعلم ذلك. لكن ليس الليلة. الليلة سأوصلك الى المنزل بنفسي.»

حدقت به غاضبة:«اعتقد انه يجب ان اشكرك، لكنني لا اشعر بالرغبة في ذلك.»

امسك مرفقها وقال:«افهم انك تشعرين بخيبة الامل.»

«يمكنك قول ذلك.»

سارا بإنزعاج نحو البنك، قال:«عشت هنا لمدة ثمانية عشر شهر بدون شاحنة، يمكنك الانتظار حتى الغد.»

«لا نعود الى البلدة حتى نهار الخميس.»

«حسنا، الخميس.»

«كان علي انتظار الاوراق. وما كان علي مغادرة البنك من دون الشاحنة. انها لنا ام لا؟»

«لا. البنك يحجز الاوراق حتى اتمام القرض، ويحتاج هذا الى عشر سنوات، وحتى ذلك الوقت، علي حماية البنك. لا اريد ان تسقط الشاحنة تحت الطريق قبل ان تدفعي القسط الاول.»

وقفا أمام البنك، انتظرت بينما ذهب ليحضر سيارته من المرآب. اخذت تذرع الارض ذهابا وإيابا، محاولة ان تخفف من غضبها. فهي متشوقة لتمسك بمقود القيادة. قررت ان تصل الى منزل جاكيندا عند الصباح لترى الاطفال يتراكضون من كل صوب، استدار حول البنك وتوقف امامها. بإمكانه ان يرى انها غاضبة، لكنه لا

يهتم. من الافضل له ان يتحمل انزعاجها على البقاء مستيقظا طوال الليل يتساءل ان كانت وصلت الى بالمور سالمة. اقترب منها ليضع لها حزام الامان وتمنى لو انه لم يفسد تلك الليلة الرائعة. لكن ليس لديه خيار. بإمكانه ان يعلم من خلال صمتها انه اقنعها ان اهتمامه الوحيد هو الشاحنة، لكنه لو يتمكن ان يقنع نفسه بذلك.

لم تنم كاترين خلال الطريق. شعرت بالألم من عدم الثقة بها. لكنها ستبرهن له أن النساء ستعملن بجهد لإيفاء القرض في خمس سنوات فقط. بالطبع، لن تكون هنا بعد خمس سنوات، لكنها ستتأكد انهن سينطلقن في حياة جديدة قبل رحيلها. حتى ولو كان ذلك آخر عمل ستقوم به.

عندما وصلا الى منزلها الصغير، قالت له وداعاً بحدة وذكرته انهن سيذهبن الى البنك نهار الخميس من اجل الشاحنة. شعرت بالندم لأنها عاملته بجفاء، لكن كبرياءها لن يسمح لها بالضعف.

في اليوم التالي اخبرت النساء عن الشاحنة، فتحمسن جداً. لكن ليس بقدر حماسهن بشأن خطوبة ابنة دونا بلانكا من ابن جاكيندا الاصغر. عاد الرجل الشاب من المنجم وهو يحمل أجر شهر في يد وخاتم الزفاف في اليد الاخرى. فرحت جاكيندا وباركت الزواج.

قالت اكاترين عندما دخلت الى مطبخها في الصباح الباكر:«بالطبع انا سعيدة. لكنني لست سعيدة كما سأكون عندما نحتفل بزفافك.»

رفعت كاترين نظرها عن الماء المغلي والذي يعد للمربى وحدقت بجاكيندا بحزم وهي تقول:«اعلم انك تعتبرينني فتاة عانس، وربما لست الوحيدة. لكن هناك اشياء يجب القيام بها في هذه الايام غير الزواج. بالنسبة إلي قررت ان استعمل معرفتي في مساعدة اشخاص مثلك لتحسين انتاج مزارعهم. وبعد ان اغادر بالمور في نهاية السنتين، سأذهب لبلد آخر، ووادي آخر، ومزرعة اخرى. بالطبع انت تلاحظين ان لا مجال لوجود رجل في حياتي هذه.»

هزت جاكيندا رأسها وقالت:«اعلم، اعلم. ألم اسمع كل شيء عن هذه الحياة في البنك البارحة؟ القروض، ودفع المال، حتى شعرت بالدوار.»

عقدت كاترين حاجبيها وأكدت لها:«اتمنى انك انتبهت جيدا، لأننا إذا خسرنا ايصال واحد، ستعود الشاحنة الى البنك. فنحن لا نملكها حتى ندفع ثمنها بالكامل.»

«اتذكر، مع تلك الاوراق الصغيرة من دفتر خاص.»

هزت كاترين رأسها. لا بد انها كانت منتبهة هي وجميع النساء. شعرت كاترين بالذنب لأنها تعامل جاكيندا كطفلة. وتتحدث معها كما فعل جوشوا البارحة. وتتحدث عن الاعمال بينما تريد جاكيندا التحدث عن الزفاف والمناسبات الفرحة. لكنها تشعر بصداع قوي. فالمزارعات يدفعن الثمن في اليوم التالي ان تأخرن في الذهاب الى النوم باكرا. لكن لاحق لديها لصب غضبها من جوشوا على جاكيندا.

سكبت فنجانين من الشاي من الابريق على الفرن وأشارت الى صديقتها بالجلوس، قالت:«اين سيعيشان؟»

وضعت جاكيندا ملعقة من العسل في فنجانها، قالت:«طالما جوان كارلوس يعمل في المنجم، ستبقى ماجدالينا في منزل اهلها حتى يصبح لديهما اطفال، عندها عليهما ان يجدا منزلا لهما.» رشفت من فنجانها وتابعت:«لدينا الكثير من العمل هذين الاسبوعين.»

«اسبوعان؟»

«خياطة الثياب وطهي الطعام. انت لم تشاهدي زفافاً قروياً من قبل حيث يتم شواء خروف ويرقص الناس كل الليل. والسيد بنتلي لم ير زفافا كهذا ايضا، على ما اعتقد.»

«السيد بنتلي؟ لا اعتقد ان السيد بنتلي لديه اهتمامات بالزفاف.»

اخذت جاكيندا فنجان كاترين وحدقت بالاوراق في قعره، تمتمت:«ربما لا، لكنني اعلم ان دونا بلانكا ستدعوه. احيانا تتفاجئين مما يقدم عليه الرجال.»

وافقتها كاترين على ذلك:«فعندما تفكرين ان الرجال لطفاء ورائعين، يتحولون الى اشرار ومتفاخرين.»

حركت جاكيندا الفنجان في يدها وأمسكت بذراع كاترين، قالت وهي مندهشة:«هو حقا مدهش. بما اننا نتحدث عن الزواج رأيت شيئا يختص بذلك الزواج في فنجانك.»

حاولت كاترين ان لا تبتسم، قالت:«حقا! وماذا رأيت؟»

«زفاف في القرية. لكن العروس ليس ماجدالينا. انت العروس، وترتدين فستانا ابيض واسع مع وشاح مطرز. انت تبتسمين وتقولين:شكرا لك، جاكيندا.»

سألت كاترين ببراءة:«ومن سيكون العريس؟»

رفعت جاكيندا كتفيها وقالت:«لا استطيع رؤية وجهه، لكنه ثري جدا. ويمطرك بقطع نقدية من الفضة.»

قالت كاترين بحماس:«الفضة؟ امر ممتع حقا.» وبتعمد مدت يدها الى فنجان جاكيندا ونظرت الى الاوراق في قعر الفنجان، تابعت:«ماذا لدينا هنا؟ ارى في فنجانك شاحنة بيضاء كبيرة الحجم وانت تجلسين بجانبي وكل صديقاتك في السوق تنظرن اليك بحسد. وهذا سيحدث قريبا. قريبا جدا.»

نظرت جاكيندا اليها ولم تتحدث ثانية عن الزفاف. قالت لها كاترين نهار الخميس سيرجعن الى المزرعة بالشاحنة. ستذهب هي والنساء لأخذها. هي تعلم ان جوشوا سيأتي، لكنه لن يتمكن من نقل عشرين امرأة في سيارته. وبالطبع لن يدعو عشرين امرأة الى العشاء. كل ما بينها وبينه علاقة عمل، فهكذا يريد الامور وهذا ما سيحصل. ستوقع وثيقة النقل، تصعد الى الشاحنة وتعود الى هنا.

لكن نهار الخميس، لم تشعر بالراحة وهي تنتظر في البنك. مسحت راحتي يديها بوشاحها وحاولت ان لا تظهر قلقها. رأته قبل ان يراها، وللحظة فقط لتدرك انه يرتدي بذلة رمادية تظهر رشاقة جسمه وعرض كتفيه.

علم جوشوا انها كانت غاضبة عندما خرجت من سيارته وتمنت له رحلة آمنة الى البلدة، لكنه لم يتوقع ان يدوم هذا الغضب، ولم يتوقع ان يشعر بالألم من تصرفها البارد وهم يوقعون وثائق نقل الملكية. اصبح متأكدا الان ان لا اهتمام لديها به بعيدا عن القرض. وطالما ان هذا ما يريده، فلماذا يشعر بالانزعاج. حاول ان يتحدث معها على انفراد، لكن النساء كن دائما قربها. عمل الجميع منهن على شكره ومصافحته باستثناء كاترين. وقبل ان يحظى بفرصة للتحدث معها، وصل الجميع الى مرآب البنك، وتجمعن في داخل الشاحنة مع اكياسهن الفارغة، جلست جاكيندا ودونابلانكا بجوار كاترين. قال لها ان تقود بحذر، وأراد ان يحذرها ان لا تنعطف بسرعة، لكنه تذكر انها قالت له ان لا يعاملها كطفلة، فقرر الصمت.

وقف في المرآب وراقبهن يبتعدن، كانت النساء تزغرد من الفرح. وعبر المرآة الخلفية لمح نظرتها وهي تلمع بالنصر. لقد حصلن على الشاحنة ولا احد يستطيع ايقافهن الآن.

فكر في قيادة الشاحنة عبر الطرق الجبلية في الغسق وشعر بالتعرق البارد يتصبب من جسمه. فالفرق كبير بين قيادة الشاحنة في المرآب، اما في طرق وعرة ضيقة فالامر مختلف جدا.

مرت الايام الثلاثة التالية صعبة عليه. لم يكن لديه اي وسيلة ليعلم ان وصلن بخير او ان كنّ سيعدن

الى البلدة. وفي فجر نهار الاثنين وجد نفسه واقفاً في الشارع برفقة الكلاب الضالة وشرطة المدينة في ثيابهم الخضراء والذين يعملون على تنظيم المواصلات للشاحنات القادمة من الوادي.

اخيراً وصلن، والشاحنة تتهادى محملة بالصناديق. شعر بالراحة ما ان سمع اصواتهن تناديه. راقبهن وهن يفرغن الشاحنة. حمل كيساً من الخس وسار وراء كاترين.

سألها بصوت عادي:«هل هناك أي مشكلة؟»

قالت وهي تسير بسرعة:«لا. شاحنتك في حالة ممتازة. لذلك يمكنك ان لا تقلق.»

قال بالرغم عنه:«لست قلقاً على الشاحنة. بل عليك.»

رمته بنظرة باردة وقالت:«حسناً. يمكنك ان تهدأ من روعك. فأنا سائقة ماهرة.»

«اني متأكد من ذلك.» وضع كيس الخس جانباً قرب باقي الخضار. اقتربت جاكيندا لتقف بينهما وتفرغ الفليفلة وكأنها لم تلاحظ التوتر بينهما.

قالت وهي تبتسم بفرح:«سيد بنتلي، سيتزوج ابني في آخر يوم من الشهر وطلبت مني دونابلانكا ان ادعوك الى الزفاف، طالما ان ابنتها هي العروس.»

نظر جوشوا اليها حائراً. فلقد فهم بعض الكلمات لكنه لم يفهم معظم ما قالته. طلبت جاكيندا من كاترين ان تخبره بما قالت.

كررت كاترين الدعوة، لكنها اضافت من تلقاء نفسها:«لا

تشعر بأنك مجبر على القدوم، قلت لها ان رجل مثلك لديه الكثير من الاعمال.»

نظر الى جاكيندا من فوق رأس كاترين وقال بالاسبانية:«احب كثيراً القدوم. شكراً لك.»

ربتت جاكيندا كاترين على ضلوعها ثم ابتعدت لتخبر النساء. بعد رحيل جاكيندا عادا ليحدقا ببعضهما بغضب. اخيراً قالت كاترين:«النساء متحمسات جداً بشأن الزفاف. فهناك اموراً كالخياطة والطهي. وبالمقابل موسم قطف البندورة اصبح قريباً جداً.»

قال:«هل استطيع المساعدة؟»

«في قطف البندورة؟ اشك بذلك.»

«عندما ستذهبين الى البنك عند المساء لدفع المال، سأتحدث معهن. فهناك الكثير من الاعمال تتوقف على نجاحهن. وإذا تم الامر...»

«ستحصل على ترقيتك.»

المعنى الواضح في كلامها اصابه في الصميم وكأنها طعنته بخنجر. امسكها من كتفيها، بينما جمدت النساء مكانهن قال بصوت غاضب:«لا تتفوهي بكلمات لم اقلها. اقدمت على هذا القرض رغم عدم اقتناعي الكامل. لكنني اردت نجاحه من اجلهن كما لأجلي. وان حصل سيتمكن من انشاء عمل ما من الزراعة، وهكذا سيتمكن الرجال من العودة الى منازلهم من المناجم وهكذا سيعملون في الارض مع عائلتهم. ربما بإمكانهم ان يصنعوا طاحونة ايضاً.»

ساد الصمت في المتجر عندما انهى كلامه. حدقت به النساء، غير قادرات على فهم غضبه من كاترين الجميلة واللطيفة. لكن كاترين تعلم السبب. غير انه لم ينته بعد.

«لا اعلم اي نوع من موظفي البنوك تعاملت معهم في السابق، لكن اعتقد يجب ان تحكمي عليّ من خلال اعمالي وأخطائي. اعطيتك القرض لأنني وثقت بك، ولا ادري ان كنت على صواب ام على خطأ. لكن هذا ما فعلته وسأفعل كل ما بوسعي لأتمكن من انجاح العمل لأجلك. لكن لن ينجح الامر إذا كنت ستقاومين في كل مرة احاول ان اقدم المساعدة. نعم اريدك ان تنجحي وتدفعي ثمن الشاحنة. بالطبع هذا سيحسن موقفي، لكن سيجعل الفلاحين افضل، وعندما سيعملون على اشياء اكبر. ولنتمكن من القيام بذلك نحن نحتاج لك ولي ولهم.» تركها لكنها شعرت بضغط اصابعه على بشرتها حتى بعد ان خرج الى الشارع، ومن السوق الى البنك.

ومن دون ان تتكلم افرغت صندوقاً من البطيخ بأصابع مرتجفة. هذا ما فعلته بقية النساء. وبعد قليل انشغلن بالتحدث والضحك والمتاجرة. عملت جاكيندا على طرح عدد من الاسئلة على كاترين تتعلق بالعمل والزفاف. اجابتها كاترين بهدوء، لكن في اعماقها كانت تشعر باضطراب كبير في عاطفتها. فهي تشعر بالخجل من نفسها. لأنها تعلم في اعماقها ان جوشوا ليس مهتما

فقط بعمله. لقد تظاهر بذلك. حتى انه وضع خططاً للمزرعة، اكثر بكثير مما كانت تحلم به. تمنت لو لا تراه في نهاية النهار. لأن عليها الاعتذار وهي تخشى من ذلك.

عند الغروب جمعن المال. ووضعن كل البضائع في الشاحنة. كانت النساء متحمسات. فالنهار اكثر من جيد لانتاج المال. ذهبت الى البنك ووجدت جوشوا بانتظارهن. تركت النساء تدخلن اولا. وضعن المال على الطاولة امامه.

ها هن تفعلن كل شيء من دونها، وهن فخورات بأنفسهن. وهذا ما يجب ان يحدث. تحدثن مع رجل بلغة البلاد وأخذن منه اوراقا. استدارت كاترين لتتشارك في هذه اللحظة السعيدة مع جوشوا، لكنه لم يكن هناك. ربما طلب منه التحدث مع زبون آخر. فكرت في الذهاب الى موظفة الاستقبال لتسأل عنه، لكنها لم تفعل. فهي غير مستعدة. لكن في الرحلة التالية كان لديها الوقت الكافي لتحفظ جيدا ما ستقوله.

ستقول: انت على حق، ليس هناك من سبب لأقود الشاحنة في منتصف الليل. كنت متحمسة جدا ولم افكر بوضوح. شكراً لك على اصطحابي للعشاء وشكراً لك على رغبتك بالمساعدة.

لكنه لم يكن هناك. تحدث معهن الرجل الذي عمل على ايضاح المسألة للنساء. نظرت كاترين حولها، ثم غادرت ولم تسأل عنه.

وعندما لم يظهر في الزيارتين التاليتين، سألتها جاكيندا عنه في طريق العودة:«لم ار السيد بنتلي مؤخرا، منذ ذلك النهار الذي تبادلتهما فيه كلمات حادة في المتجر.»
ضغطت كاترين بقوة على المقود وقالت:«حقا؟»
«نعم، حقا، هل رأيته؟»
«لا اعتقد ذلك.»
«هل تعلمين ما الذي نقوله في اللغة الاسبانية؟»
هيأت كاترين نفسها لتسمع حكمة جديدة، قالت:«ماذا تقولون؟»
«امرأة من دون رجل كحديقة من دون سياج.»
«ومن التي تحتاج الى سياج؟ بالطبع لست انا. فإن وجدت رجلا، اول امر يجب ان يفعله، ان لا يضع سياجا حولي. وماذا عنك؟ انت ايضا بلا سياج.»
«نحن نتحدث عن حياتك انت، وليس حياتي. حياتي تقريبا انتهت، وحياتك بالكاد ابتدأت. سمعت الان ان في بلادكم لا احد يقوم بدور الخاطبة. انتم تتزوجون من اجل الحب، لكن مع ذلك هناك الكثير من الطلاق! بناتي كلهن متزوجات، والان ابني الاصغر سيصبح زوجا وأبا، وكل ذلك بمساعدتي. ولن ارتاح حتى افعل معك ذات الامر.»
تنهدت كاترين:«جاكيندا، اقدر كثيراً ما تريدين القيام به، لكن...»
وضعت المرأة العجوز يدها على ذراع كاترين وقالت:«لا تشكريني حتى يتم اعلان خطوبتك.»

«لكن قلت لك...»
«انه غير مهتم بالزواج، لكنك مخطئة. فهو سيأتي الى الزفاف، وهذا امر جيد.»
قالت كاترين بلطف:«واعتقد انني قلت لك انني مهتمة فقط بالمال الذي بإمكانه ان يقرضنا إياه.»
تثاءبت جاكيندا واتكأت براحة على المقعد، قالت:«اعلم. لكن الحب هو ثمرة الزواج. وانت مهتمة به لأمر ما هذا دليل عافية. او بداية جيدة.» ثم اغمضت عينيها وكأنها تقول ان الحديث انتهى، والابتسامة التي بدت بوضوح على شفتيها اشارت على انها راضية وسعيدة لأن الكلمة الاخيرة لها.

www.kitaabati.com Deprived of Freedom

الفصل السادس

كان الطقس في الاسبوع الذي سبق الزفاف غائماً، بينما الحماس على اشده. شعرت كاترين بالراحة لان النساء لم يتجاهلن قطاف البندورة. فقد كن يعملن في النهار في الحقل وتخيطن غطاء سرير ماجداليا في المساء حول طاولة كاترين في المطبخ. ازدادت ارباحهن وفي كل مرة يذهبن فيها الى البنك كانت اموالهن تزداد. كان جوشوا ليشعر بالفخر منهن لو انه هناك، لكنه في رحلة عمل، كما قال السيد داروين، الموظف الذي تتعاملن معه.

لم تسأل كاترين متى سيعود. فهي تعلم ان جاكينذا ستشعر بخيبة أمل ان لم يأتِ الى الزفاف. لكن هذا لا يعنيها. فهذا ليس زفافها. ومع ذلك فكرت فيه كل الاسبوع.

في الصباح الباكر في نهار الزفاف وقفت امام درج المعبد الصغير ونظرت الى السماء الملبدة بالغيوم. المكان صغير لكنه كاف ليحتوي الناس هنا كي لا تنهمر الامطار عليهم اثناء اتمام المراسيم. لكن الاحتفال في الخارج هو ما يقلقها.

هب الهواء، فأمسكت قبعتها القش والمزينة بشريط من لون اللافندر. الهواء مثقل بالرطوبة وهم بحاجة للمطر، لكن ليس الآن بل بعد الزفاف.

دخلت المعبد لتزين المكان بباقات من الزهور جمعتها

عند الصباح. تنشقت عطر الورود التي مازالت رطبة من قطرات الندى. سمعت الباب يفتح وشعرت بنسمة من الهواء. استدارت وهي تحمل وردة صفراء في يدها، ونظرت متفاجئة.

احتاج جوشوا للحظات قليلة ليتمكن من الرؤية بوضوح في الداخل. لم يقل له احد في اي ساعة الزفاف. كان ينظر ليرى العروس، لكنه رأى كاترين. اغلق الباب وراءه وتنفس رائحة الدفء والزهور.

قالت بصوت مرتجف:«وصلت باكراً.»

اتكأ على الباب وعقد يديه على صدره:«لم اعلم أي ساعة يبدأ الزفاف. فقد كنت خارج البلدة وبعيداً عن اي اتصال.»

قالت:«سمعت انك ذهبت في رحلة عمل.»

سار عبر الممر وهو يقول:«نعم، اخبرني داروين ان الامور تسير على ما يرام لدرجة انكم لم تفتقدونني.»

ساد الصمت لفترة.

نظرت إليه، فلم يستطع ان يتحمل اكثر، يريد ان يعلم:«هل افتقدتني؟»

اقتربت منه وقالت:«نعم، افتقدتك. اردت ان اقول لك انني آسفة لأنني قلت انك استغلالي. انا حقا ممتنة لك على كل ما فعلته لنا.»

هز رأسه قائلاً:«هذه غلطتي. اخبرتك ان نجحت هنا فسأحصل على ترقية. ماذا يمكن ان تفكري غير ذلك؟»

«لكنك قلت لي انك عملت جاهدا من اجل القرض.

وان فشلناه فلا بد ان عملك سيفشل ايضاً.»
«على ما يبدو ان تفشلن. قال لي داروين ان الاعمال اكثر من جيدة. وان استمر الامر على هذا المنوال، سيكون هناك قروض اخرى للمزارعين والحرفيين.»
«حقاً؟» اقتربت منه حتى لم يعد الا مسافة قصيرة جداً بينهما. هز رأسه رائحة الازهار في كل مكان، في شعرها؛ في بشرتها وفي الهواء. لم يرها من قبل في فستان. فستان ناعم ولديه ازرار صغيرة على الصدر فلم يستطع الا التحديق بها.
نظرت كاترين الى ساعتها وقالت:«من الافضل ان تذهب، عليّ ان انهي عملي.» امسكت بوردة حمراء وضعتها على بذلته. امسك بيدها كان هناك وخزة من الوردة في يدها. ولمسته ناعمة جداً. فامتلأت عيناها بالدموع.
سألها:«ما الامر؟ هل اذيت نفسك؟»
هزت رأسها مبتسمة وقالت:«انا دائماً ابكي في الافراح.»
قال:«لكنه لم يبدأ بعد.»
عضت على شفتها وقالت:«اعلم.» واستدارت لتعود الى ازهارها.
حدق بها للحظة طويلة، بجسمها الرشيق وشعرها الاسود المتدلي على كتفيها. ثم غادر ليقف امام المعبد.
بعد قليل وصل الجميع. على ظهر الخيل او في العربات او على الاقدام. في ثياب رسمية. حتى بادرو العجوز وصل على ظهر حماره، وهو يرتدي بذلة وقميصا

بيضاء. هز رأسه مرحباً بـ جوشوا لكنه لم يقترب منه.
القت النساء على جوشوا التحية بفرح كبير وبفخر عرّفن عنه لازواجهن. تحدثن ببطء ليفهم كم هم سعداء برؤيته، شعر بدفء وباحساس قوي من الانتماء. بالكاد تعرف جوشوا على جاكيندا عندما ترجلت من عربتها المزينة بشرائط حول اللجام والزهور حول اذني الحصان. سارت بزهو وهي مرتدية ثوبها الطويل مع قرطين كبيرين من الفضة في اذنيها. ابتسمت لجوشوا وعرفته على ابنها، العريس.
فتحت ابواب ودخل الجميع. اختار جوشوا المقعد الخلفي وجلست كاترين بقربه وعندما بدأ عزف الموسيقى وضعت يدها في يده. فشعر بقلبه يخفق بقوة بصدره.
وقف الجميع لرؤية العروس. دخلت الفتيات حاملات الزهور ومرتديات فساتين بيضاء مع زهور على شعرهن. ثم دخل حامل الخاتم، ابن عم ماجدالينا الصغير. وأخيراً العروس، خمارها على وجهها، وعيناها على باقة الزهور من دوار الشمس في يديها.
همست كاترين:«انها رمز للخصب.»
وقف ابن جاكيندا بانتظار العروس. وعندما اقتربت منه امسك بيدها. طالت المراسيم لكن جوشوا لم يمانع. هناك شيء مميز في الكلمات الاسبانية. والأحساس بيد كاترين في يده، كذلك توهج الشموع ورائحة الازهار جعلته يتمنى لو تستمر الى الابد.
اخيراً استدار العروسان وخرج الجميع وقد ملئوا ايديهم

بحبوب القمح ليرموها على العروسين. نظر جوشوا الى حبات القمح في يده سألها:«رمز آخر للخصب؟»
«صحيح، الزهور، البذور، الاصداف، والقرون.. كل هذه الزينة رموز للقوة والخصب. ومع ان العروسين مخطوبان منذ ولادتهما ربما. فجاكيندا تؤمن بالزواج المقرر.» وتنهدت قبل ان تتابع:«لو انها تنسى فقط ان تقرر زواجا لي.»
«لا بد انه تحد حقيقي ان تجد شخصاً مناسباً حقاً لك.»
«كانت على وشك ان تتخلى عن الفكرة عندما وصلت ببذلتك الانيقة.»
«انا؟»
«نحن فقط الاثنان من اميركا الشمالية اللذين تعرفهما. لذلك من الطبيعي ان تفكر اننا مناسبان جدا.»
«وانت لا تفكرين كذلك؟»
«لا اعتقد ان هذا سبب كاف. يجب ان يكون هناك اشياء مشتركة بين الزوجين.» نظرت إليه وفجأة اطلت الشمس من بين الغيوم. وقبل ان تكمل بدأ الحشد بالتصفيق والزغردة،
فقالت وهي تنظر الى السماء:«هذه إشارة جيدة، سعيدة هي العروس التي تشرق الشمس في زفافها.» وقبل ان يتفرق الحشد رمت ماجدالينا باقة الزهور الى كاترين، تورد خداها ونظرت بيأس الى جوشوا وكأنها تقول له، ارأيت ماذا تفعل بي؟
قالت للنساء ان هذه لا فائدة منه، لكنهن اصررن على

رأيهن. صمتت كاترين، لكنها لم تصدق للحظة انها ستكون العروس التالية. كيف يمكن لها ان تتزوج وليس لديها من تتزوج به؟
بعد قليل استقل الجميع وسائل النقل الخاصة بهم للذهاب الى منزل دونا بلانكا. دعت كاترين قدر ما يمكن للشاحنة ان تتسع، اما جوشوا فعاد بسيارته. طوال الطريق والجميع يتحدثون عن الطقس. ما ان وصل الجميع الى المنزل الكبير حتى صفت السماء وعلا صوت الفرقة الموسيقية.
اوقف جوشوا سيارته وانضم الى الجميع، رتبت كاترين ثيابها ووقبعتها. وقفت للحظة، تراقب الالوان الزاهية لثياب النساء والبذلات للرجال وهم يقتربون من باحة الرقص.
اشارت جاكيندا الى كليهما، قالت:«اليوم يجب ان ننسى كل ما يتعلق بالعمل.» وأمسكت بيد كل منهما وسارت معهما الى باحة الرقص ثم تابعت:«انه يوم للرقص والأكل والاحتفال.» غمزت بعينها جوشوا قائلة:«رأيت من التقطت باقة الزهور، وكلنا نعلم من ستكون العروس التالية.»
اومأ جوشوا برأسه وكأنه يوافقها الرأي، لكن كاترين نظرت اليها محذرة.،قال جوشوا:«قولي لها ما قلته لي. ان ليس لدينا صفات مشتركة.»
«لن يتبدل رأيها مهما قلت، فلقد اتخذت القرار.»
قال وهو يرفع كتفيه:«ربما هي على حق. ربما يجب

Digital Art Design of Affection

علينا الزواج على طريقتهم. ففي النهاية لا يوجد لديهم حالات طلاق مثلنا.»

«هذا ما قالته لي مرة. هل تقصد انك ستوافق على الزواج من امرأة اختارتها لك جاكيندا؟»

ضحك وقال:«فقط لأنني اعلم من اختارت. عليك ان تعترفي ان لديها ذوق رفيع.»

قالت:«ذوق رفيع في اختيارها لي ام لك؟»

«لنا معاً. ربما نحن نستحق بعضنا.»

نقلت جاكيندا نظرها بينهما، وهي تحاول ان تعلم ان كانا يتشاجران ام يتسامران. اخيرا وضعت يديهما معا وعادت الى داخل الدائرة. علا صوت الموسيقى وانضم الجميع الى الرقص بخطوات متشابهة.

عندما انتهى الرقص شعرت بالدوار. وضع جوشوا ذراعه حولها، اقتربت جاكيندا منهما وقدمت لهما عصيرا خاصا للمناسبات السعيدة.

قالت كاترين:«عصير لذيذ لكنني اشعر بالجوع.»

«سأحضر لك شيئا لتأكليه.»

هزت رأسها قائلة:«انهم يطهون خروفاً وراء المنزل. سأنتظر هنا. فتلك المنطقة للرجال فقط.»

تبع جوشوا رائحة الطعام وانضم الى الرجال في الباحة الخلفية للمنزل. رأى احد الرجال يعمل على تحريك الشواء، والباقون دورهم.

سمع باكو يقول:«ان تزوجت لأجل الحب وليس لأجل المال، ستحصل على ليالٍ سعيدة وأيام سيئة.»

قال رجل آخر:«بالنسبة لي، الحب وهم، الجميع يتكلم عنه، لكن القليل القليل من عرفه.»

استداروا جميعاً لرؤية جوشوا، قال العريس:«هذا صاحب بنك، لنسأله رأيه. هل الزواج مقبرة للحب؟»

رفع جوشوا كتفيه وقال:«لم اتزوج من قبل، لكنني سمعت من لم يجد الحب، فهو لم يجد شيئا مطلقا.»

هتف الرجال بصوت عالٍ. ولم يدر جوشوا ان كان ما قاله قد اعجبهم ام لأنه تحدث باللغة الاسبانية. قدموا له قطعة من اللحم ليتذوقها لكنه حملها بمنديل ورقي الى كاترين. لكن بدلا من ان يرى كاترين وجد العجوز بادرو جالسا على المقعد.

اشار جوشوا له كي ينتظر وذهب الى السيارة ليحضر له الحزام. قدم له الصندوق ببساطة. لم يتكلم بادرو، لكن عينيه اتسعتا بالفرح والدهشة معاً. وضع الحزام حول خصره ووقف كي يراه جوشوا.

وصلت جاكيندا واظهرت اعجابها بحزام بادرو وبالوردة الحمراء على كتف جوشوا وعندما قال لها ان كاترين وضعتها، قالت:«اعلم ان هذا الزواج مقرر.»

لم يقل لها جوشوا انه سمع كل شيء عن هذا الامر وان كل ما تفكر به ضياع لوقتها. وعندما لم يجب جوشوا، تجعد وجه جاكيندا من خيبة الامل. وابتعدت عنه آخذة معها بادرو. رأى كاترين تشير إليه من الجهة المقابلة من الطاولة سألها وهو يجلس بجانبها:«اين كنت؟»

«في المطبخ اساعد النساء. وانت اين كنت؟»

«اتحدث مع الرجال.» ووضع يده بنعومة على ظهرها.

«عن ماذا؟»

«ألا تعلمين عما يتحدث عنه الرجال.» ولمعت عيناه بالمرح.

قالت بإصرار:«لا، لا اعلم.» وأخذت قطعة من الخبز من السلة.

«عن الحب والزواج.»

سألته بدهشة:«في اللغة الاسبانية؟»

«بالطبع، وانت عما كنتن تتحدثن في المطبخ؟»

«عن الحب والزواج.»

سألها:«وماذا سمعت؟»

«تعتقد النساء انه من الافضل للمرأة ان تتزوج من رجل يحبها على ان تتزوج رجل تحبه.»

قال:«هذا رأي جاكيندا؟»

هزت رأسها قائلة:«لا، جاكيندا تقول ان عليك ان تبقي عينيك مفتوحتين قبل الزواج ونصف مغمضتين بعده.»

وقف العريس ورفع كوبه نحو زوجته.

قالت كاترين:«والآن كل رجل سيلقي كلمة.»

قال جوشوا:«لا ادري ما الذي سأقوله، خصوصاً في الاسبانية.» لكن عندما طلب منه التحدث سأل كاترين ان تترجم له شعرا سمعه مرة. تقدم الضيوف الى الامام صامتين ومنتظرين. قال:«في الحب، الوقت ابدي، فالساعات تمضي، والازهار تموت. ايام جديدة، وأساليب جديدة، كلها تزول، ويبقى الحب.»

اعجب الجميع بما قاله، او على الاقل هذا ما شعر به. التت جاكيندا من ورائه وقبلته على خده، فنظرت كاترين اليها مفكرة.

بعد العشاء طلبت دونابلانكا من جوشوا ان يخفض كيس الحلوى المعلق على الشجرة ليتمكن الاطفال من اصابته وتناول الحلوى. وضعت كاترين عصبة على عيون الاطفال وهم يحاولون ضرب الكيس بالعصا. قام الجميع بذلك ولم يتمكن احد من إصابته. وعلا الضحك عندما وضعت جاكيندا العصبة على عيني كاترين.

قالت:«لنرى اذا كانت الآنسة تملك حظا افضل.» ثم ادارت كاترين مرات عدة حتى شعرت بالدوار. بحذر رفعت العصا وبالحظ فقط ضربت الكيس المعلق.

سقطت قطع الحلوى على رأسها وحولها. سمعت صراخ الاطفال وهم يركضون لجمع قطع الحلوى. وضعت يديها على عقدة العصبة كي تنزعها، وشعرت بأصابع شخص ما تغطي اصابعها وتساعدها. رائحة عطرة ولمسة اصابعه عرفت عنه على الفور.

وضعت يديها على كتفيه ونظرت الى عينيه الملينتين بالضحك. قال:«قمت بعمل جيد، وأدهشت الجميع.»

«حتى نفسي.» استمر الكلام والضحك وصراخ الاطفال، لكنها لم تكن ترى غيره وكان بإمكانهما ان يقفا هكذا طويلاً لو لم تربت جاكيندا على كتفها.

قالت وهي تنظر الى جوشوا:«لقد تحدثت معه منذ فترة قصيرة، لكني اخشى انه لم يفهم ما قلته. عليك ان

Digital files are Gift of Affection

تخبريه باعتقادي انك وهو قد خلقتما لبعضكما. وانا لست الوحيدة في القرية التي تقول ذلك»

حدقت كاترين بها وقالت:«لا بد انك تمزحين. لا استطيع ان اقول له ذلك.»

قالت جاكيندا بفقدان صبر:«ماذا يجب ان يفعل ايضاً؟ انه يرقص، ويسمع الشعر ويقرض المال. ماذا تريدين بعد؟»

لم تستطع كاترين ان تقول شيئاً. فهذا سؤال مهم. ما الذي تريده بعد؟ ابتسم جوشوا لجاكيندا. وعندما سمع صوت الرعد، نظر الى السماء وقال:«علي ان اعود الى البلدة قبل العاصفة.»

هزت جاكيندا رأسها قائلة:«ليس من الامان ان يقود السيد بنتلي عائداً الليلة. وطالما انه لا يستطيع النوم في منزلك، بإمكانه ان يمضي الليل في غرفة الضيوف في منزلي.»

فهم جوشوا ما قالته فقال:«اخبريها انني اشكرها على الدعوة، لكن اولا سأوصلك الى منزلك عندما تنتهي الحفلة.»

ابتسمت كاترين لعازف الغيتار الذي مر امامهم وقالت:«لن تنتهي الحفلة قبل صباح الغد. سأترك الشاحنة هنا. وانا جاهزة للمغادرة.»

وقبل ان يرحلا قدما هديتهما الى العريس والعروس ثم شكرا جاكيندا، التي قدمت الى كاترين قطعة من قالب حلوى الزفاف لتضعها تحت وسادتها.

قالت غامزة:«ستحلمين بالرجل الذي ستتزوجين به.»

تنهدت كاترين وهي تسير برفقة جوشوا نحو سيارته:«انها لا تحتمل. انها تستعمل الزفاف لتضع ضغا علي كي اتزوج. ويصدق كل هذا يجعلني افكر بالعودة الى ارض الحرية، حيث بإمكان المرأة ان تصل الى الثامنة والعشرين من دون ان يعلق احد عليها انها مازالت عزباء.»

ادار محرك السيارة وقال:«تقصدين العودة الى ترانكلتي؟»

«لا، ليس الى ترانكلتي. لا استطيع رؤية المزارع والمتاجر هناك.» مجرد التفكير بفشلها من الاحتفاظ بالمزرعة جعلها تحمر خجلاً. شعرت بالرضى لأن الظلام شديد وهكذا لن يرى وجهها.

سار ببطء عبر الطرق التي توصل الى منزلها:«الى اين ستذهبين عندما تنتهين من العمل هنا؟»

«لست متأكدة الى اين. الى حيث ترسلني بيس كرويس، البيرو، تشيلي، الارجنتين... الى اي مكان يحتاجونني به. القدوم الى هنا امر جيد لي. وان ارى نجاحهم وأكون جزء من هذا النجاح وكأن ما حدث في الماضي لم يحدث مطلقاً.»

«تقصدين خسارتك لمزرعتك؟» اوقف السيارة امام منزلها وتابع:«لا بد ان الامر كان صعباً جداً.»

«ليس لكل شخص منا، اختي ما كانت تتحمل البقاء في المزرعة. وتمكن والدي من التأقلم. اما انا فلم اكن اعلم كيف.»

«كيف تمكنوا من التأقلم أو كيف تمكن والديك من بيع المزرعة؟»

«الاثنان معاً. اعلم انه لم يكن لديهما أي خيار لكن انا... انا.» ابتلعت غصة وسقطت دمعة على خدها. استدارت لتنظر من النافذة، لكنه امسك بكتفيها لمواجهته. تمكنت من الابتسام وقالت: «آسفة، لا علاقة للمزرعة بذلك. لقد تخطيت الامر. لا بد انه الزفاف.»

مسح الدمعة بإصبعه وقال: «هذا صحيح.»

اخيراً انهمر المطر. قالت: «كنت رائعاً وانت ترقص وتقول الشعر. لم اكن اعلم ان موظفي البنوك يحبون الشعر.»

قال وهو ينظر الى عينيها: «اخبريني عن اصحاب البنوك في ترانكلتي.»

«انهم مملون. وقصتي ايضاً مملة. انت لا تريد ان تسمعها.»

«بلى، اريد.»

تنهدت: «حسناً، انه السيد غرانت وابنه. فهما يملكان البنك ويدينون المال.»

«لك.»

«للجميع. لكن عندما نحتاجهما، يتخليان عنا.» لم يقل شيئاً بل انتظر كي تتابع: «اعتقد انني قلت لك اننا لم نكن اثرياء وعندما كنا نحتاج المال كنا دائماً نبيع شيئاً ما. حتى خسرنا القطيع.»

«وهل تلومين البنك على ذلك؟»

فكرت للحظة ثم قالت: «لا. فأنا ألوم نفسي. لكن كان

بإمكانهما اعطائنا فرصة اخرى، فقط قرض واحد للمحصول القادم. ربما كنا تمكنا من النجاح. لكن والديّ لم يملكا الرغبة والطاقة للمقاومة. فقد كانا يعتمدان عليّ وأنا كنت اعتمد عليهما. كنت أملهما لأنني ذهبت الى الجامعة وتعلمت الكثير عن الزراعة الحديثة. لكن في الواقع، تخليت عنهما. ولا بد انهما تساءلا ماذا قدمت لي ثقافتي المهمة. هذا ما قاله لي السيد غرانت عندما رفض طلبي في المرة الاخيرة.»

«وماذا حدث بعد ذلك؟»

«تم بيع كل شيء. وأخيراً اعلن الافلاس. وهذا لا يفاجئك، اليس كذلك؟ لكنت فعلت ذات الامر.»

«ربما. فجيوب اصحاب البنوك عميقة جداً. ولا شك انك تعلمين، هذا ما سيحدث ان لم تدفعي ثمن الشاحنة، اليس كذلك؟»

«بالطبع، لقد تحدثنا عن ذلك.» فتحت الباب وقالت: «عمت مساء.» ليست غلطة جوشوا ان البنك اعلن افلاس مزرعتها، وليست غلطة والديها انهما قررا الاحتفاظ براتب تقاعدي. هي تعلم ذلك، لكن الغضب والحزن لا يفارقها. لكن على الاقل ها هي تقدم ما تعلمته لمساعدة مزارعين آخرين.

امسكت بقطعة الحلوى وانحنت لتقبل خد جوشوا قبل ان تركض نحو شرفتها. لكنه سبقها نحو الباب، ضمها إليه وعانقها.

نسيت المزرعة، ونسيت كل شيء تحدثا عنه وأخيراً

ابتعد عنها وقال:«قد تكون جاكيندا على حق. ربما نحن خلقنا لبعضنا البعض. لم لاتقولين لها اننا نفكر بالأمر؟ فقط لنسعدها.»

قالت:«لا استطيع ان افعل ذلك. فقد تتأمل بزواجي.»

مرر يده في شعرها وقال:«تتأمل؟ وماذا عني؟ وماذا عنك؟»

ارتجفت من شدة الاضطراب العاطفي الذي تعيشه.

فتح جوشوا لها الباب وقال:«هيا ادخلي الى منزلك قبل ان تصابي بالانفلونزا. ولا تنسي ان تضعي قطعة الحلوى تحت وسادتك.»

اتكأت على الباب حتى سمعت سيارته تنطلق. بعد ان استحممت، وضعت الحلوى تحت وسادتها. هي لا تعتقد بكل هذه الخرافات. لكنها فعلت ذلك، بكل الاحوال.

نامت وحلمت بجوشوا، ربما بسبب قطعة الحلوى وربما لا. لكنها حلمت به نائما قربها في الارجوحة والمطر ينهمر عليهما، ويبلل ثيابهما.

استيقظت ومدت يدها لتلمسه. لكنها كانت في سريرها وبمفردها.

الفصل السابع

عندما اشرقت الشمس، سارت كاترين نحو منزل دونا بلانكا وهي تحمل سلة من البيض الطازج لتحضر الشاحنة. رأت هناك عددا من الرجال تجمعوا لتناول الفطائر وما تبقى من الحلوى وللغناء تحت نافذة العروسين. وقد نظروا الى الشاحنة بتعجب بسبب قوة محركها، وعجلاتها الكبيرة.

سلمت كاترين المفاتيح الى مانويل، زوج دونا بلانكا. ابتسمت ما ان ركض الاطفال وجلسوا في وسط الشاحنة. عمل الرجال على قيادة الشاحنة الى السوق نهار الاثنين، طالما انهم في عطلة هنا. وستجلس كاترين مع النساء في وسط الشاحنة. كانوا يتحدثون بحماس عن الرحلة الى البلدة، متشوقين الى الوصول الى السوق بشاحنتهم الجميلة الكبيرة.

كانت كاترين ايضا بشوق للوصول الى سوق رودريجيز. ليس لأنها تتوقع رؤية جوشوا هناك، لكن... لماذا قلبها يخفق بسرعة وهم يستديرون عبر الشارع حيث يقف الشرطي لينظم حركة المرور؟

لم يكن هناك، ربما لا يزال نائماً في منزله الزجاجي المطل على البلدة كلها. وان لم يكن هناك فلا بد انه في العمل، في مكتبه البعيد عن كل هذه الضجة والغبار.

الجو مختلف في المتجر مع وجود الرجال وهم يضحكون

ويعملون. في وقت ما في منتصف النهار نظرت اليها جاكيندا بحدة، لكن كاترين ابتسمت لها فليس من السوء ان يشعر المرء بالتعب والارهاق.

ستكون بألف خير غدا عندما يعود الرجال الى اعمالهم وتعود الحياة الى سابق عهدها. لكن افكارها عادت الى الزفاف. الى الاحساس بالمطر على بشرتها وبعناق جوشوا. جالت عيناها باحثة بين الحشد عن شخص طويل اسود الشعر وسيم الملامح. لكنه لم يأت.

ساد الهدوء في المتجر بعد الظهر. فاتكأت بعض النساء على اكياس البطاطا اغمضن عيونهن. لكن جاكيندا لم ترتاح. نظرت الى كاترين بفضول قبل ان تمسك بذراعها:«لنذهب لنشرب القهوة ونتحدث عن الاعمال.»

سألتها كاترين:«الاعمال؟ أليس الوقت باكرا جدا بعد الزفاف مباشرة؟»

هزت جاكيندا رأسها، لكنها لم تقل شيئاً حتى جلست في المقهى، قالت:«انت تعرفين صديقتي دونا مارغريتا التي خاطت لك الكنزة والتنورة؟»

«بالطبع اعرفها.»

اخفضت جاكيندا صوتها وقالت:«ذهبت الى البنك لتسأل عن قرض.»

«حقا! وما الذي حدث؟»

استقبلها السيد بنتلي وأرسلها الى المستشار الخاص بالقروض، ذات الرجل الذي تتعامل معه. اعطاها الاوراق لتملأها، ولتعيدها اليوم، لكن...» توقفت جاكيندا عن

التحدث وعقدت حاجبيها قبل ان تكمل:«لم يتمكنوا من ذلك لأنهم لا يجيدون الكتابة. فكرت ان كنت...»

نظرت كاترين الى ساعتها:«في اي وقت الموعد؟»

«الساعة الخامسة. لم ارغب في ازعاجك. لكن ليس لديهم احد ليطلبوا منه تلك الخدمة.»

وضعت كاترين فنجانها و قالت:«بالطبع اساعد اي كان ان استطعت.»

ابتسمت جاكيندا وقالت:«تستطيعين.»

وهما تسيران نحو منزل دونامارغريتا اخبرتها جاكيندا ان مارغريتا وابنتها وصهرها سيأخذون القرض لشراء خراف الباكا. ومع ذلك الصوف الناعم بامكانهم اعداد كنزات انعم والحصول على ارباح اكثر.

عملت كاترين مع مارغريتا على تعبئة الاوراق بالمعلومات المطلوبة في القسم الخلفي من المتجر، بينما كانت ابنة مارغريتا تهتم بالزبائن. وعندما انتهتا سألتها مارغريتا لتذهب معهم الى البنك. بدا القلق عليهم فلم تستطع ان ترفض. وبعد دقائق قليلة وجدت نفسها على الطريق متجهة الى البنك. شعرت بالخوف من ان تجد جوشوا هناك. وبخوف اكبر ان لا تجده.

لم تكن بحاجة للقلق. فلقد طلب جوشوا من الموظف المسؤول عن القروض ان يعاملهم وكأنهم افضل زبائن لديه. وعندما رأت انهم مرتاحون معه، خرجت كاترين من المكتب ووقفت امام المصعد، تراقب السهم يصعد الى رقم اثني عشر، مكتب جوشوا. وبسرعة اتجه السهم الى

اسفل، وعندما توقف، فتح الباب ليخرج جوشوا منه. انارت ابتسامة مفاجئة وجهه، وقال وهو يمسك بيديها الاثنتين:«ما الذي تفعلينه هنا؟»

للحظة لم تكن قادرة على الكلام، ثم قالت:«انا في طريقي الى الذهاب الى المنزل.»

سار برفقتها في غرفة الاستقبال «سعيد انك التقيت بي: فأنا ايضا في طريقي الى المنزل. وصل الموقد اخيرا مع ما تبقى من اغراضي.»

قالت وهي تقف عند الباب الزجاجي السميك:«اتيت مع الخياطة، وهم الان مع داروين، يتحدثون عن امكانية الحصول على قرض لشراء خراف الباكا.»

سألها:«هل لديهم من يساعدهم، ويجنون ارباحاً كافية من عملهم وسنة خبرة؟»

«كل هذا وأكثر.»

«اذن من المحتمل ان يحصلوا على ما يريدون. لكن هذا قرار المسؤول. احيانا كل شيء صحيح على الاوراق، لكن لا يتم القرض. وهذا يعود الى حدس المسؤول عن القروض.»

«اعتقد هذا ما اعتمدت عليه عندما قررت ان تعطينا القرض؟»

بدا وكأنه يفكر قال:«هل ترغبين في الذهاب معي لرؤية الموقد وكل الادوات الاخرى الجديدة؟»

«لا استطيع. النساء بانتظاري.» لكنها لم تذهب، بقيت واقفة وكأن حذاءها صنع من رصاص وليس من قماش.

«من سيوصلهم الى المنزل ان لم تفعلي؟»

«اعتقد مايكل، لكن...»

سألها وهو يبتسم:«حسناً، سأرسل لهم شخصاً يخبرهم. سنذهب لرؤية الموقد، ثم سنخرج لتناول الطعام. بعد ذلك ستغادرين بسيارة اجرة. ما رأيك؟» لم تتمكن من ان تقول لا. لم تستطع ان تقول أي شيء.

شعرت بضعف في ركبتيها. فها هي ستمضي امسية اخرى مع جوشوا. وفرصة اخرى لتشعر بذراعيه حولها، ويعناقه. يجب ان تذهب الان. لكن شكوكها تبخرت ما ان امسك بذراعها وأسرعا على الدرج الى الشارع.

فجأة شعرت بقدميها تطيران وهما تلمسان الارض، سارا عبر الحشد من الناس تتسوق او عائدة الى منازلها. توقفت امام متجر كبير. قالت:«بدلا من الخروج الى العشاء بإمكاننا شراء بعض الخضار وتدشين الموقد.»

«هل تجيدين الطبخ؟»

رددت غير مصدقة:«هل اجيد الطبخ؟ هل بإمكان الدجاج وضع البيض؟ استطيع ان اطهو لمن يربي الماشية ولمن يعمل في الحقول ويحصد الذرة. ويجب ان اكون قادرة على الطهي لصاحب بنك واحد وأنا مربوطة اليدين وراء ظهري.»

قالت وهي تفتح الباب:«هذا لا يعني ان تناول الطعام في مطعمك المفضل امر سيء. لكن سيكون الامر مهماً لي لأقوم ببعض التسوق.»

قام بجر العربة وهي تسير امامه، تضع المعلبات،

Forbidden Love
Language of affection

وتعبس من الاسعار. حملت خسة وقالت:«هل نحضر السلطة؟»

«بالطبع.» نظر حوله وقال هامساً:«هل رأيت رجلاً غيري هنا؟»

«لا اعتقد ذلك. في اروكا فقط الزوجات تتسوق، فلدى الرجال اعمال اخرى للقيام بها.»

«مثل الاستلقاء على الكنبة. افضل ان اكون معك... هنا. طالما ليس لدي كنبة.»

امسكت بعض حبات الفاصوليا الخضراء في يدها وقال:«قطفت البارحة. لكن مع قليل من عصير الحامض والزبدة ستصبح شهية.» ثم وصلت الى بائع اللحمة. فطلبت قطعتين من لحم الغنم.

وقفا امام صندوق الدفع، وهمست في اذنه:«الخضار هنا ليست جيدة كالخضار التي نبيعها. كما وانها تباع باضعاف الثمن.»

«لكن لا مجال للجدال حول السعر هنا. هذا ما يعجبني.» دفع جوشوا ثمن المشتريات وحملها بيد واحدة، بينما امسك يد كاثرين باليد الاخرى وسار عبر الشوارع الى شقته. استقلا المصعد للوصول الى الطابق العلوي. حين فتح الباب رأت المشهد الخارجي من النافذة المقابلة.

قالت مبهورة الانفاس حتى رؤية غروب الشمس:«كم هو رائع.» خلعت حذاءها، وقفزت فوق صندوق وسارت نحو النافذة. وقف وراءها، وتذكر عندما رأى هذا المنظر للمرة الاولى. رفع قبعتها عن رأسها ووضعها على

الطاولة. رغب بقوة ان يمسك بضفيرتها وليترك شعرها يتساقط على كتفيها.

اخيراً استدارت وقالت:«لا يبدو انك تملك اي مفروشات. وكأن المكان خال ولا احد يعيش فيه.»

قال معترضاً:«لدي موقد للطبخ وسرير. الاشياء الضرورية، كما وانني استطيع العيش بدون الموقد.»

ابتسمت وقالت:«وماذا يوجد في كل تلك الصناديق في الزاوية؟»

«لا اعلم. لا استطيع ان اتذكر. لقد حزمت اغراضي منذ فترة طويلة. ولا بد انها وصلت عن طريق البحر مع البراد. وفي الوقت الذي سأفكر فيه في ترتيبها، سيكون حان الوقت لحزمها من جديد.»

تفاجأت من فكرة مغادرة جوشوا، امسكت بضفيرتها وقالت:«انت تعني انك لن تبقى هنا... اعتقدت...»

رفع كتفيه وقال:«لا اعلم. فأنا في انتظار ترقية، وأعتقد اني ذكرت لك ذلك. لا ادري متى ستأتي او ان كانت ستأتي. وان حصل ذلك، علي ان اجمع اغراضي للرحيل. قالوا لي ان لا اترك نفسي اتعلق بأي شيء لا استطيع ان اضعه في حقيبتي وأنا راحل.»

أبعدت عينيها عنه وقالت:«لم ار بعد...»

«السرير؟»

«لا. الموقد.»

«امامك مباشرة.»

وفي المطبخ الصغير مررت يدها على الرخام الناعم،

فتحت القرن ونظرت إليه قبل ان تشغله، ثم غسلت الخسة، سعيدة ان هناك ما تفعله.

رفع جوشوا يديه وقال:«كنت افكر في ان استحم.»

قالت من دون ان تنظر إليه:«حسنا.» شعرت وكأنها في منزل الالعاب، تطبخ في هذه المطبخ الصغير مع كل ادواته الجديدة. عندما عاد رأت انه يرتدي بنطال جينز وقميصا قصيرة الاكمام.

عندما ينزع عنه بذلته، يبدو وكأنه يتخلص من شخصيته العملية الملازمة لعمله. مع انه لم يكن هناك اي صرامة وهو ينظر اليها من قبل.

تنشق بشهية رائحة اللحم مع اكليل الجبل. امتلأت الغرفة ببخار الفاصوليا الخضراء في الوعاء. اغمض عينيه ولف ذراعيه حولها. رغبت في ان تدفن وجهها في صدره.

قال:«اذن هذا ما كنت افتقد إليه في المطعم.» شدها إليه لكن صوت الجرس في القرن ابعدهما عن بعضهما.

قال:«سنأكل على الشرفة.» وحمل زجاجة العصير وكوبين، بينما تبعته وهي تحمل اطباق الطعام.

حل الظلام وأنوار المدينة ملأت المكان تحتهما. كان يرى هذا المنظر كل ليلة. ومع ذلك شعر وكأنه لم يره مطلقا من قبل. نظر الى كاترين، كانت تبدو جميلة لدرجة انه شعر بغصة في حلقه.

تناولا الطعام وهما صامتين، يراقبان السماء. تركها ليعد القهوة، وعندما عاد قالت وهي تأخذ الفنجان من يده

:«انت على حق، لا يمكنك ان ترى النجوم بوضوح هنا.»

«لا، ارجوحتك هي افضل مكان ممكن.»

لم تجب. فمن الواضح ان كليهما لن ينسيا تلك الليلة.

قالت:«لا ارى اين هي نجمة الشمال من هنا.»

وضع فنجانه جانبا وقال:«يجب ان احضر التلسكوب.»

سألت بكسل:«اين هو؟»

غادرت الشرفة وتبعته الى غرفة الجلوس حيث انار كل الاضواء فيها وبدأ بفتح اول صندوق. جثت قربه وهي تنظر الى الثياب والكتب كتب في الاقتصاد وإدارة البنوك، لكن ليس هناك تلسكوب.

رأت شهادة موضوعة في إطار من جامعة خارج بوسطن. صفرت كاترين قبل ان تقول:«لا عجب انك ماهر جدا. فلديك كل الامكانيات الصحيحة، كما وانك تقرأ الكتب المناسبة.»

«لا اعلم لماذا احضرتها معي. اعتقدت انني سأرتبها في مكتبي.»

«من اين حصلت على المال لتذهب الى مثل هذه الجامعة طالما ان والدك كان ينفق امواله على مطاردة الاحلام؟»

«من خلال منحة دراسية.» فتح الصندوق التالي، رأت معلبات الفاصوليا والخبز الاسمر الرقيق. نظر اليها مبتسما وتابع:«هذه في حالات الطوارئ.»

في قعر الصندوق وجد صورة تغطيها قطعة من القماش القطني. وما ان نزع القماش حتى تحركت الى جانبه. كانت صورة قديمة باللونين الاسود والابيض اخذت

عند مدخل كهف. هناك مجموعة من الهنود تتكئ على ادوات الحفر وتحدق بفضول في الكاميرا في وسط الصورة رجل شاب يبتسم بفخر، وقد وضع منظارا حول رقبته.

قال بعد صمت طويل:«والدي امام منجم طوشابامبا.»

«اذن انه فعلا موجود.»

«لا، غير موجود. انه حلم.»

اشارت نحو الصورة وقالت:«اذن كيف...؟»

«المنجم موجود لكن ليس هناك فضة. وربما هو من النوع الردي، جدا كما اعتقد. وحتى لو لم يكن هناك انهيارات، فهو لا يستحق اي مجهود.»

«هل انت متأكد انك لا تريد الذهاب الى هناك. فقط لترى...»

«بالطبع. فالعجوز بادرو على حق. اذا كان افقل المنجم فلا بد ان لديه سبب مهم. ولا يحق لنا الاعتراض.»

فكرت قليلا ثم مررت بأصبعها على إطار الصورة وقالت:«يجب ان تعلقها على الحائط كذكرى...»

«كذكرى لما يجب ان لا تفعله في حياتك؟ لا اعتقد انه فكرة جيدة. فالعيش من دون مال امر سيء جدا، والعيش من دون والد امر اسوء بكثير.»

«إذا، لماذا احضرتها معك؟»

«لا اعلم؟»

نظرت الى الصورة بإمعان وقالت:«هناك شبه ما بينكما، ربما في العيون...»

«بيني وبينه؟ حقاً. لا يمكن ان يكون هناك اختلاف اكثر.»

حدقت في وجهه. ربما لا يعلم لماذا احضر الصورة. وربما لا يعرف الفارق في الاحلام في شخصيته. لكنها تراه في عينيه وتسمعه في صوته.

قال من دون ان يتحرك:«كاترين، ما الذي تريدينه؟ وعما تبحثين؟»

«انا لا ابحث عن اي شيء. لقد وجدت ما ابحث عنه. حياتي هي بمساعدة المزارعين المحتاجين. الحظ والطقس والبنك اخذوا مني مزرعتي، وأعطوني فرصة لاستعمال ما اعرفه جيدا. لقد احتجت لوقت طويل لأرى الامور من هذه الزاوية، لكني الآن اعتقد ان هذا هو قدري منذ البداية.»

«انت تؤمنين بالقدر؟»

«اجل، لكن ايضا أؤمن بوضع الخطط. والآن لدي خطة لخمس سنوات.»

«حقا! إخبريني عنها؟»

«حسنا، عندما انتهي من عملي هنا، سأعمل على تجديد العقد. اريد البقاء في جنوب اميركا، طالما انني امضيت كل هذا الوقت في تعلم الاسبانية. وأريد الذهاب الى مكان ما يحتاجون فيه إلي.»

«تريدين ان يحتاجك الناس، اليس كذلك؟»

«اكثر مما اريد النجاح، ارد ان ارى نتائج اعمالي مفيدة للمزارعين. لكن هذا ليس بجديد. فكل شخص يشعر

هكذا.» حان الوقت لتتوقف عن التحدث عن نفسها. وحان الوقت لتغادر. عليها ان تذهب قبل ان يتأخر الوقت اكثر من ذلك. قالت:«تحدثت بما فيه الكفاية عن نفسي. وعليّ حقاً ان اغادر.»

«لا يمكنك المغادرة الآن. لم ترَي بعد ما تبقى من الشقة.»

«انت تقصد غرفة النوم؟»

«نعم، فيها سرير كبير ومنظر رائع ايضاً.»

«اني متأكدة من ذلك.»

قال يؤكد لها:«انه كذلك، خصوصاً عند الصباح.»

«ربما في وقت آخر.»

«ومتى سيكون ذلك؟»

«لا اعلم. يجب ان لا نجعل من لقائنا عادة.» عادة في القدوم الى هنا وإعداد العشاء معاً ثم البقاء مُرافقة المدينة مع جوشوا عند الصباح.

«افهم ذلك. فلديك الكثير من العمل. في المرة القادمة سأطهو الطعام بنفسي.»

«لم اكن اعلم انك تجيد الطهي. كما وان مطعمك المفضل سيفتقدك.»

«سيعتادون على ذلك عاجلاً ام آجلاً.»

وهذا ما يجب ان تفعله هي ايضاً. قالت:«حقاً يجب ان اذهب.»

لم يعترض هذه المرة. ورافقها الى الشارع حيث طلب لها سيارة أجرة، وراقبها ترحل.

اغمضت كاترين عينيها في سيارة الاجرة، لكنها لم تتمكن من النوم. يجب ان تتخلص من هذا الإحساس القوي نحو جوشوا، حتى ولو لم يكن الامر سهلا. وعليها ان تبدأ من الان. لا يمكنها الانتظار حتى يغادر فهي ستشعر بالألم اكثر. انها معجبة به، وبقوة. فهي ترى وراء الحذر الذي يبديه شخصاً حالما. قد لا يعترف بذلك ابداً، لكنه هناك وسيظهر يوماً، لكنها لن تكون بقربه لتراه.

قالت لنفسها انهما مختلفان. وهذه حالة اي شخصين يجب ان لا يتقابلا وان لا يستسلما لعاطفتهما. هي تتطلع لمساعدة الناس وهو يتطلع الى ترقية اكبر. وكلاهما يعلمان ان عليهما التراجع عن رؤية بعضهما حتى بالكاد تلاحظ انها لا تراه مطلقا.

لكن فكرة عدم رؤيته مجدداً تصيبها بالصداع. ضغطت بيدها على جبينها، لكن صداعها لم يتلاش والاحلام بجوشوا جعلت نومها مضطرباً.

في صباح اليوم التالي اتكأت على نافذة غرفة نومها وهي تحاول ان تقرر ما الذي ستفعله، رأت العجوز بادرو ينظر إليها، وقد ربط حماره حول جذع شجرة، نظرت إليه مستغربة وقالت انها ستنزل لرؤيته على الفور. ارتدت بسرعة بنطال جينز قديم وقميصا قطنية وأسرعت نحو الباب. نزع قبعته عن رأسه، وشكرها على دعوتها لشرب فنجان شاي، لكنه جلس على كرسي على الشرفة وبدأ ينظر حوله. ثم ربت على الحزام الذي قدمه له جوشوا.

جلست على الكرسي المجاور وسألت بادرو ان كان يعتقد انها ستمطر. هز رأسه، ونظر حوله من جديد. ففهمت كاترين انه ربما يبحث عن جوشوا.

قالت:«جوشوا ليس هنا، الرجل الذي اراد الذهاب الى المنجم، يعيش في لاليوز.»

«ان رأيته، قولي له انني بدلت رأيي.»

اتسعت عينا كاترين، قالت:«لماذا؟»

«شاهدت حلما، وفيه اتى إلي المعلم وسألني ان آخذ السيد الذي يعمل في البنك الى المنجم.»

اقتربت كاترين منه وسألته:«الم تعد خائفاً من الذهاب؟»

هز برأسه وقال:«اني خائف، لكن قال المعلم لي ان الخطر قد زال. والكنز مازال هناك. قال لي ان اقسم الكنز على اولاد وأحفاد الاشخاص الذين شاركوا في المنجم، والسيد، بالطبع، من اجلهم سأذهب لمرة اخيرة.»

عضت كاترين على شفتها، فكيف يمكنها ان تخبره ان جوشوا لا يريد الذهاب الى المنجم. لا تستطيع ان تشرح له انه لا يحب المخاطرة. لذلك وعدت بادرو انها ستوصل الرسالة الى جوشوا وراقبته يمتطي حماره ويبتعد في الحقول. وعدته ان تبلغ الرسالة، لكنها لم تقل له متى ستفعل ذلك.

الفصل الثامن

في اليوم التالي للذهاب الى السوق تولت كاترين قيادة الشاحنة فالرجال قد عادوا الى المناجم. عملت النساء بحماس طوال النهار وفي النهاية جمع المال في كيس من القماش. قالت كاترين لجاكيندا على انفراد انها ستنتظرهن في الشاحنة.

ضاقت عينا جاكيندا وقالت محذرة:«ليس من الامان ان تنتظري بمفردك في مثل هذا الوقت من النهار.»

«اذن سأذهب الى مقهى دون بانشينو. ايعجبك ذلك؟»

ضمت جاكيندا ذراعيها وقالت:«ولماذا لا تأتين معنا؟ سخيب امل السيد بنتلي.»

قالت:«لا، لن يحدث ذلك. لا يهتم السيد بنتلي من يحضر المال. فهذا ما يهمه. كما وانني متعبة.»

زفرت جاكيندا:«ما الامر، عزيزتي؟ ارى حزناً في وجهك وليس تعباً. والان لن تأتي الى البنك. ماذا سأقول للسيد بنتلي؟»

رفعت كاترين يديها في الهواء وهي تقول:«قولي له انني مصابة بداء غريب. لا اهتم بما ستقولين له.»

فتحت جاكيندا فمها متفاجئة من غضب كاترين. نظرت من فوق كتفها، فرأت النساء قد انطلقن، فرفعت تنورتها وأسرعت بالذهاب وراءهن من دون التفوه بأي كلمة اخرى لكاترين.

تنهدت كاترين براحة وسارت نحو المقعد وهي تشعر بالغضب من نفسها لاغضاب جاكيندا. جلست على احد المقاعد فملأ دون بانشيتو فنجان قهوة وقدمه لها. بامتنان رشفت القهوة، راضية انها تمكنت من تجنب الاجتماع مع جوشوا. لكن الاحساس بالرضى لم يستمر طويلاً. شخص ما جلس بجانبها ومن زاوية عينها رأت جالسا قربها ويطلب القهوة. لم يقل شيئا، وهكذا جلسا يشربان القهوة من دون أي كلام بينهما. اخيرا كسر الصمت قائلا: «سمعت انك تعانين من مرض غريب.»

«لا تقلق، ليس من الامراض المعدية.»

«حسنا. لنتناول العشاء معا. اريد ان اتحدث معك.»

«لااستطيع. فلا جدوى من ذلك، وانت تعلم.»

استدار لينظر اليها وقال: «اعلم ماذا؟»

«رؤيتنا لبعضنا البعض. نحن بعيدان عن بعض ونشعر بالوحدة والحنين. ومن الطبيعي ان نرغب في رؤية بعضنا. لكن...» امر مضحك لقد عملت بقوة على ايضاح كل ما تريد قوله، والان ها هو هنا، يجلس بجانبها، وهي لا تتذكر ما يجب ان تقول.

قال بنعومة: «طبيعي جدا.»

«لكن ليس عملي. سأشعر انني بحال افضل لو ان علاقتنا عملية فقط.»

قال موافقا: «وانا ايضاً، في الواقع، هذا هو سبب قدومي اليك.»

رمشت بعينيها غير مصدقة ما سمعته: «حقاً؟»

«نعم، فانا بحاجة لبعض المساعدة بشأن طلب قرض.»

«لكنني اعتقدت انك لا تعمل على القروض الا...»

«الا في حالات نادرة. هذا صحيح. لكن هذا ابن عم داروين وهو صياد في بحيرة كورديلرا. سمع اننا نعطي قروضا صغيرة لأعمال محددة. وهو يريد شراء قارب كي ليحسن صيده. لا يستطيع داروين اعطاء القرض بسبب قرابته، لذلك تطوعت لهذا العمل.»

سألته كاترين: «وما علاقتي بالامر؟»

«لا شيء، غير انني بحاجة الى مترجم ولشخص يعطيني رأيا صريحا بالامر.»

«يمكنني ان اخبرك منذ الان انني موافقة على اعطائهم القرض.»

وضع فنجانه وقال: «حتى من دون رؤيتك العملية؟»

«حسنا... اعتقد انني سأساعد في الامر.»

«اذن ستأتين معي، كخدمة للبنك وللصيادين.»

ابتسمت قائلة: «ان كنت ترى الامر من هذه الناحية.»

«هل ذهبت الى هناك من قبل؟»

«الى اعلى بحيرة في العالم والى مركز حضارة الانكا؟ لا. لم اذهب مطلقا الى هناك.» وعليها ان لا تذهب من اجل العمل ام لا. لكن اولئك الصيادين بحاجة لمن يتحدثون معه، شخص يفهم ويتعاطف مع حالتهم. سألته: «وكيف سنصل الى هناك؟» علمت انها اتخذت قرارها.

«سنأخذ القطار المتجه من كاستيلو.»

قفز قلبها في ضلوعها. ستصعد القطار الذي يمر في جبال الانديز العالية. رحلة رغبت دوما في القيام بها مع رجل، شرب فنجان قهوة معه امر مثير. قالت ببطء:«اعتقد استطيع الغياب لعدة ايام.»

لمعت عيناه وهو يمسك بيدها ليخرجا معا:«رائع.» سارا نحو الشاحنة بدون اي كلام وعندما وصلا قال وهو يلامس كتفها:«قودي بحذر، سأذهب لاصطحابك صباح نهار الاربعاء من منزلك.»

بدت لها الايام طويلة جداً حتى نهار الاربعاء. لم يأت جوشوا الى السوق وهي لم تذهب الى البنك. لم تخبره ان بادرو بدل رأيه. شعرت بالخوف ان يرفض الذهاب، مع انه في اعماقه يرغب في الذهاب الى المنجم والاهم، انه بحاجة للذهاب الى هناك. لكنها تعلم ان عليه ان يتخذ هذا القرار بنفسه. وبينما كانت تنتظره على الشرفة بدأ المطر ينهمر حولها، تساءلت ما هي الغاية من اخباره عن العجوز بادرو.

اوقف جوشوا سيارته وهو لا يستطيع تصديق انها بانتظاره. كان خائفا ان تبدل رأيها، لذلك تجنب رؤيتها الاسبوع الماضي كي لا تحظى بفرصة تخبره بها ان عليها زراعة البطاطا او قطف الفريز او اي شيء اخر بدلا من الذهاب معه. لكن مع هذا المطر لا يرى ان بإمكان اي كان ان يقوم بأي زراعة او اي شيء من هذا القبيل.

وقبل ان يخرج من السيارة اسرعت تحت المطر مرتدية

قميصاً زهري اللون يناسب لون خديها وبنطالها الرمادي وسترتها. شعرها مصفف ومعقود الى وراء اذنيها، مما جعلها تبدو كالمراهقة. وعندما نظر الى حذائها، تجهم وجهه.

قال:«اتمنى انك احضرت حذاء دافئاً معك. فالطقس بارد هناك.»

اجابت:«اعرف كل شيء عن البحيرة.» علم من ابتسامتها التي تملأه بالحماسة كم افتقدها وكم يرغب في ضمها اليه. لكنه انطلق بسيارته وبدأت هي بالتحدث عن الهنود وعن معتقداتهم. هناك شيء ما في صوتها يجعل كل ما تقوله رائعا.

استدارت لتقول له:«لا احد يعلم من اين اتى شعب الانكا، تقول الاسطورة انهم ظهروا للمرة الاولى في جزيرة في وسط البحيرة لينشئوا حضارة جديدة.»

حدقت بالمنازل البيضاء التي تنتشر عبر الطريق وتابعت:«اريد ان ارى الشمس تشرق على البحيرة، تماماً كما يحدث مع شعب الإنكا.»

هذا ما يريده جوشوا ايضاً، لكن معها. لا يدري لما يفكر هكذا. فقد اتفقا على انها رحلة عمل. والان ها هو يتساءل كيف ستبدو عند الصباح وأشعة الشمس على وجهها. ضائع في افكاره، مر امام محطة القطار فأجبر على الاستدارة والعودة إليها.

قالت كاترين بصوت كالحلم:«يقال انهم اغرقوا كنوزهم في البحيرة ليخفوها عن الاسبان.»

اوقف سيارته وحمل كل منهما حقيبته. لم يتحدث حتى اصبحا في مقعديهما في القطار.

قال وهو ينظر من النافذة:«اتعلمين، لقد سمعت قصصاً عن الكنوز المخبأة، ما يكفي لحياة بأكملها. وعادة فيها من الحقائق ما تدفع الرجال الى انفاق كل اموالهم وهم بأقصى الحماس للحصول عليها.»

«مثل والدك.»

«صحيح. آخر مرة رأيته فيها كان يبحث عن كنز مدفون على ساحل مكسيكو. لقد انفق كل امواله في تلك العملية، كل ما كان لديه ما عدا حصته في المنجم. وكان ليبيع تلك الحصة لو وجد من يشتريها منه. ودعته امي وتمنت له كل الحظ والنجاح كما كانت تفعل دوماً. لكن طائرته سقطت وبات.» قال كلماته بدون اي عاطفة، لكن يحمل كلامه حزناً وندماً.

«على الاقل ترك لك شيئاً ما. ملكية صك. شيء خاص به. شيء له قيمة لديه.»

«الحصص في منجم الفضة؟ تركهم لي لأنه لم يستطع بيعهم، كما وانها بدون اي قيمة.»

«ربما، لكن والدي لم يتركا لي اي شيء. لا منزل ولا ارض... ولا اي شيء.»

«لا شيء؟ وماذا عن الذكريات؟ الاحساس بالامان بأنك لن تجوعي يوماً. ووالدان موجودان كلما احتجت إليهما. المخزن المليء بالحيوانات والمؤن. كل ذلك.»

هزت رأسها قائلة:«نعم كل ذلك انتهى. هل تريد ان ترى

اين يعيشان الان؟» بحثت في حقيبتها عن محفظتها وسحبت منها صورة رجل وامرأة يقفان على الشرفة، ومرجة صغيرة وراء المنزل.

سألها وهو يحمل الصورة:«واين الخطأ في ذلك؟»

قالت بصبر:«انها شقة صغيرة.»

«انت تظهرينها وكأنها في حي معدم فقير.»

«انت لم تر المزرعة من قبل.»

نظر الى الصورة مجدداً. يستطيع ان يرى بوضوح من اين حصلت كاترين على عينيها السوداوين الجميلتين وعلى ابتسامتها. قال:«يبدوان سعيدين.»

«اعلم بما تفكر فيه. اذا كانا سعيدين، لمَ لا استطيع ان اكون سعيدة لاجلهما؟ لا اعرف السبب. اشعر وكأنني ابنة ناكرة للجميل.» تنهدت وأعادت الصورة الى محفظتها.

«ربما ان رجعت ستشعرين بطريقة مختلفة نحوهما.»

نظرت اليه بسرعة وقالت:«لن اعود ابداً.»

قال مبتسماً:«هذا صحيح، فهناك الكثير من الذكريات.»

بعد تناول الطعام تحدثا عن الاماكن التي سيزورانها. ولم يذكر احد منهما الكنوز المدفونة او الاراضي المفقودة.

امضيا الساعة التالية في صمت مريح، وهما يراقبان المناظر امامهما عبر الغيوم والمطر. اتكأت كاترين على مقعدها واغمضت عينيها. تساءلت لماذا احضرها في

هذه الرحلة؟ هل حقاً يحتاج الى من يترجم له؟ وهي لِمَ اتت؟ هل حقا لترى الشمس تستطع على البحيرة؟
توقف القطار قبل ان تتمكن من الإجابة على سؤالها. وضع جسر من حديد امام البحيرة ويصل مباشرة الى باخرة.
سألته:«انها طريق طويلة من اجل الحصول على قرض صغير، اليس كذلك؟»
اتكأ على حافة درابزين الباخرة وقال:«كان بإمكاني ان اسالهم ليأتوا الى البلدة لاملاء الطلب، لكنني اردت ان ارى كيف يعملون وكيف يعيشون وليخبروني كيف سينفقون المال.»
استدارت لتنظر إليه:«تماماً كما فعلت معنا.»
لعب الهواء بشعره فبدا سعيداً وهو يقول:«تعلمت الكثير من الذهاب الى المزرعة.» فقد عرف سبب الحزن في اعماق عينيها، ولماذا هي خائفة من الفشل، وحتى خائفة من العودة الى الوطن حيث فشلت سابقا.
رفعت ياقة قميصها عاليا. دخل باقي المسافرين الى الغرف الصغيرة في الباخرة، فبقيا معا على سطحها. قالت:«لم تخبرني مطلقا ما الذي جعلك تبدل رأيك.»
لمعت عيناه الزرقاوان وعلم ما الذي لا يستطيع قوله. لا يستطيع ان يذكر الإرجوحة، او تمضية الليل معها تحت النجوم، قال اخيرا:«ربما السبب هو طريقتك بالتحدث عن البطاطا. عندها علمت انك مختلفة عن اي شيء آخر.»

قالت وهي تبتسم:«اتمنى انك لم تخبر احداً عن ذلك، فهذه طريقتي السرية.»
ضمها إليه وقال:«سرك بأمان معي، وكذلك انت.»
ومن فوق رأسها رأى ان الباخرة تتجه نحو الخليج. تمنى لو ان الباخرة استمرت في السفر طوال النهار والهواء يتلاعب بشعر كاترين امام عينيه، لكن من مكان ما سُمع صوت نداء، فابتعدت عنه وحملت حقيبتها لتمضي.
نظرت كاترين حولها وتساءلت ان كانت تبدو متأثرة كما هي بالفعل. فهما لم يصلا بعد الى الجزيرة وها هي حائرة بما تشعر به نحو جوشوا. اولا لم تلاحظ ان السفينة وصلت الى الشاطىء، كما وانها لا تعلم بأي اتجاه ستذهب. اخيرا اقترب منهما رجل قصير القامة اسود الشعر عرف عن نفسه بأنه ابن عم داروين مايكل. وقادهما الى وسط الجزيرة حيث رأت اكثر من عشرين كوخ مصنوعة من الاغصان اليابسة مجمعة حول مدرسة جدرانها من الحديد. ووقف الرجال والنساء والاطفال يبتسمون بانتظارهما.
اعتذر مايكل عن عدم وجود اماكن للزوار وسألهما ان كانا لا يمانعا النوم في المدرسة. نظرت كاترين الى جوشوا بقلق لكنها قالت:«لا مطلقا.»
بعد ان وضعا حقائبهما في الغرفة المليئة بالمقاعد الخشبية للطلاب، تركهما مايكل وهو يقول ان عليهما القدوم الى منزله للعشاء. كان هناك مصباح صغير يتدلى من سقف الغرفة ويضيء الجدران المغطاة

برسومات للتلاميذ. وفي الزاوية وضعت فرشتين من القش مع اغطية، نظرت كاترين الى المغسلة الصغيرة والى الباب الذي يقود الى غرفة الحمام.

سار جوشوا في الغرفة بانزعاج، امسك ببعض الكتب ثم اعادها الى مكانها، نظر من النافذة الى الظلام المتسارع. نظر إليها فعلم انها متوترة مثله. فكيف يمكنهما التمسك بارادتهما وهما ينامان بجانب بعضهما؟

قال وهو يتكئ على اللوح:«ما رأيك بهذه الترتيبات للنوم؟ اتمنى انك لا تشعرين بأي حساسية نحو القش.»

«لا. ماذا عنك؟»

هز رأسه نافيا.

قالت:«حسنا، لكن المكان مزدحم هنا، سانقل فراشي الى قرب النافذة.»

«فكرة جيدة.» وقبل ان تعترض نقل الفرشتين من مكانهما.

شعرت بالدوار فسألته ببطء:«هذه رحلة عمل؟ اليس كذلك؟»

قال:«بالطبع.» وكأنه لم يلاحظ انها تتكلم عن الفرشتين. «انا لم ابحث بموضوع القرض بعد، لكنني انتظر كي يبدأوا هم. لكنك تعرفين اكثر مني بعادات اهل القرى. ولهذا السبب انت مفيدة. ولهذا السبب احضرتك معي.» كانت عيناه صافيتين وصادقتين. قال انها مفيدة كآلة حاسبة، او آلة فورية للترجمة. شعرت بأنها حمقاء. لقد

وضع فراشه بجانب فراشها ليستمتع بالهواء المنعش القادم من خلال النافذة.

قال وهو يجلس على حافة الفراش:«ما رأيك؟ هل من المفترض ان اتحدث عن القرض ام عليّ الانتظار؟»

قالت:«حسنا، اعتقد من الافضل ان تنتظر.»

حف يديه بحماس ونهض:«اذن هذا ما سأفعله. لنذهب الى العشاء، فهم بانتظارنا.»

راقب جوشوا كاترين وهي تنحني فوق المغسلة الصغيرة للاطفال لتغسل يديها وجهها. وعلم رغم تأكيده البسيط انها مجرد رحلة عمل. لكنه محجوز في هذه الجزيرة، محاولا ان يتظاهر انه غير مهتم لها. ما الذي تملكه ليحضرها معه الى هنا؟ هذه الرحلة كلها ستفشل لأنه لا يستطيع التوقف عن التفكير بها. وعندما رفع نظره كانت تقف قرب الباب، تراقبه وتنتظر. ابتسم لها وربت على ظهرها وهما يسيران المسافة الى منزل مايكل.

توقفت لتظهر اعجابها بحيوان اللامة الموجود قرب منزل مايكل وضعت يدها على فروه الناعم وقالت:«اتمنى لو انني املك واحدة من هذه. فهي تحمل الكثير من الاثقال ولا تحتاج الى مكان كبير.»

راقبها جوشوا وهي تلامس بخدها عنق اللامة الناعم، قال:«سأجلب لك واحدة.»

هزت رأسها:«وأين سأضعها؟»

لمست يده يدها على ظهر اللامة. قال:«في الحقل وراء منزلك.»

«اقصد، عندما ارحل، ماذا سنفعل، سأمتطي اللامة عند الغروب وأغادر؟»

اعترف:«لا بد انه منظر يستحق الرؤية، لكن ربما من الافضل ان تنتظري حتى يصبح لديك مزرعة خاصة بك.»

توترت وأبعدت يدها على الفور:«لن يصبح لدي مزرعة خاصة بي. فإن لم املك اي شيء، لن افقد اي شيء.»

فتح فمه ليعترض على هذه الفلسفة، لكن في تلك اللحظة فتح باب الكوخ وأشار مايكل لهما ليدخلا. اجلسهما حول طاولة صغيرة وقدم لهما السمك الطازج ورقائق القمح. بعد العشاء احضرت زوجة مايكل ثيابا لتخيطها. وراقبت كاترين ابن مايكل الصغير وهو يحبك قاربا للعب من الاغصان اليابسة.

بعد قليل وصل الجيران وجلسوا على الارض وقد ملئوا كل المساحة التي تغطيها سجادة من القش. راقبت كاترين الوجوه حول النار، وترجمت ما كان القرويون يقولونه، بدأوا مباشرة بموضوع القرض.

«يقولون ان القوارب المصنوعة من الاغصان كالخيول البرية. من الصعب السيطرة عليها. فان حصلوا على قوارب المصنوعة آلية بإمكانهم ان يبحروا بسهولة اكثر ويذهبون الى مسافات ابعد لاصطياد المزيد من السمك.»

سأل جوشوا:«لمن سيبيعون السمك الفائض عنهم؟»

«شركة كبيرة ستنشيء مصنعا للتعليب قرب البحيرة، وسيشترون كل السمك الذي سيصطادونه. ثم وضع

بذور سمك الترويت في البحيرة منذ بضعة سنين، وقد كبرت اكثر مما توقع الجميع. فهي ضخمة جدا كما يقولون.» هز الرجال رؤوسهم ومدوا اذرعتهم ليظهروا مدى ضخامة السمك.

قالوا:«غدا، سترى بنفسك.» ثم غادروا الكوخ مع وعد للالتقاء عند الفجر في اليوم التالي لاصطحاب جوشوا وكاترين برحلة في البحيرة.

شكر جوشوا وكاترين مايكل وزوجته من اجل العشاء وسارا نحو الشاطيء لرؤية القوارب قبل ان يعودا الى المدرسة.

هواء الليل بارد ومنعش، كذلك قمر كامل يسطع لهما من وراء الغيوم ويغطي البحيرة بلمعانه. شهقت، فالبحيرة تبدو كسطح من الفضة.

سمعت من ورائها صوت جوشوا يتفوه بما تفكر به:«الفضة. لا عجب ان الرجال تصاب بالجنون لأجله.»

وضع يديه على كتفيها وضمها إليه.

هل هو يفكر بالمنجم؟ هل عليها ان تخبره ان بادرو وافق على اخذه الى هناك؟ لم ترغب في افساد تلك اللحظة ان قال لا. تلك اللحظة الساحرة حيث كل شيء حولها يتهادى كالفضة السائلة.

امسك بيدها وسارا نحو المدرسة. لم تتحدث. بدلت ثيابها في غرفة الحمام بينما استلقى بثيابه على الفراش متظاهرا انه نائم. وعندما سمع وقع اقدامها قرب فراشها لم يفتح عينيه. سمعها تتمنى

له ليلة سعيدة. لكنه لم يجب. فكم بمقدوره التحمل.
عند الفجر طرق الصيادون على بابهما، قفز جوشوا من فراشه وذهب الى الخارج ليشرب القهوة معهم، بينما عملت كاترين على ارتداء ثيابها. لقد نام وهو يحلم بكاترين تسير امامه مرتدية قميص نوم ناعم لكنها لم تقف مرة واحدة لينظر اليها بوضوح. تماما كما هي في الواقع. رأى الرجال ينظرون اليه بنظرات فضولية، وكأنهم يحاولون ان يقرروا ما هي علاقته بكاترين. لا يستطيع مساعدتهم. فهو نفسه لا يعلم لما يفكر بها.
ابتسم وتحدث مع الرجال وشرب القهوة، لكن عينيه بقيتا على باب المدرسة حتى اتت اخيرا مرتدية قميص قطنية حمراء وبنطال ضيق. وقفت بين الاغصان كزهرة نادرة. خداها يلمعان وكأنها غسلتهما بالفضة، وعيناها البنيتان تشعان بالفرح في الصباح الباكر. قدم لها الرجال القهوة وقطعة من الخبز، ثم ذهبوا جميعا الى الشاطىء.
تفرقا على زورقين للصيد قبل ان يتمكن جوشوا من قول صباح سعيد لها. ابتسمت كاترين للصيادين وفي وسط البحيرة اعطاها احد الرجال صنارة صيد وعلمها كيف ترمي الطعم. بعد مرور عدة دقائق تمكنت من اصطياد سمكة ثم اخرى وأخرى. وعند منتصف الصباح كانوا يجرون وعاء مليئا بالسمك وراء الزورق. ترددت اصوات الصيادين وهم يتحدثون مع الرجال في زورق جوشوا. سيشتري المصنع كل ما يصطادونه وسيصبحون اغنياء.

سألتهم كاترين: «وماذا تفعلون بالسمك الفائض عنكم؟»
اجابها احدهم: «ان النساء تأخذنه الى البلدة لمقايضته بالملح والطحين والمؤن.»
التقى الرجال على جزيرة صغيرة، حيث اوقدوا ناراً ليطهو السمك. اخذ جوشوا كاترين جانبا ليجلسا على الشاطىء، وينظران الى التلال المحيطة بالبحيرة ثم تناولا السمك المقلي.
قال: «حتى الآن كل شيء جيد، فالبحيرة مليئة بالسمك، التقطت ستة اسماك بمفردي، وهم حقا يعلمون ماذا يفعلون. كما وانني اوافق على صعوبة الابحار في قوارب الاغصان. اعتقدت انك ستسقطين في المياه عندما انطلقوا.»
«هذا ما اعتقدته انا ايضاً. لكنني الآن اصبحت معتادة عليه.»
«القوارب الآلية اسرع كما بإمكانهم السيطرة عليها اكثر.»
قالت وهي تفكر: «اعجبت بهؤلاء الناس. وأريدهم ان يحصلوا على قواربهم الجديدة، لكن انظر كيف يعيشون بانسجام مع الطبيعة، مثلما نفعل نحن في بالمور. فلديهم الكثير من الطعام، مثلنا في القرية.. لكن رجالهم لا يذهبون بعيداً عن منازلهم لأسابيع كما يفعل الرجال في بالمور.»
وقف ببطء وهو يحدق في المياه المتدفقة: «هل تريدين القول انك تفكرين بأن لا اعطيهم القرض؟»

«لا، بالطبع لا. انه قرارك.»

اومأ برأسه وقال:«انه قرار داروين. نحن هنا لنجمع الوقائع ونعطيه رأينا.»

دفع الرجال القاربين الى المياه من اجل العودة. رفعت كاترين بنطالها وسارت في المياه للوصول الى القارب، هناك مدت يدها الى الماء بينما كانت المجاديف تقطع المياه بصمت. شعرت بإحساس عميق من الحزن، فهي لا تعلم ما الذي سيحدث لداروين ان رفض طلبهم. ربما سيفعل وربما لا.

عندما عادوا الى الجزيرة وجدت الاطفال يغادرون المدرسة، لوح ابن مايكل لهما، وهو يمسك بالقارب اللعبة، الذي كان يصنعه في اليوم السابق.

ابتسم جوشوا وقالت كاترين انهما سيسعدان بمقابلة من يصنع القوارب. قال جوشوا وهما يتبعان الولد عبر الممر:«اعتقد انني اعلم ما هو رأيك.»

شعرت بإحساس من الذنب، قالت:«لا تصغ إلي. انا لا اعرف شيئاً عن القروض او الصيد، ولهذا انسى ما قلته لك.»

«لا استطيع. ماذا حدث للمرأة التي اتخذت قرارها قبل ان تأتي الى هنا؟» امسك بيدها وسارا جنبا الى جنب.

«مازلت كما انا، لكنني حائرة. اريد ما هو افضل لهؤلاء الناس ولك ايضا...»

اعترض:«لكنك لا تعرفين ما هو الافضل لهم وكذلك انا.»

رفعت نظرها إليه وقالت:«إذا كان هذا هو عمل موظف البنك، فإذن انا اشعر بالأسف لاجلك.»

ضمها إليه قائلا:«لا داع. احيانا يحصل هؤلاء ظفون على جوائز غير متوقعة. فأحيانا يدخل احد الى مكتبي بالخطأ.»

سألته:«مثلي؟ لكن زيارتي لم تكن خطأ.»

تابع قائلا:«وتسأل عن شيء مستحيل.»

«كقرض لشراء شاحنة؟»

«وأقول لا.»

«لكنك تشعر بالغضب والضيق من قرارك.»

اومأ برأسه ومرر يده على شعرها.

قالت وهي تضع راحة يديها على صدره:«وهكذا بدلت رأيك. جوشوا، لا اريد ان اخذلك.»

فاجأه عمق العاطفة في صوتها. اشار الى الولد كي يتابع سيره ووضع ذراعه حول كتفيها:«لن تفعلي ذلك مطلقا. ما الذي حدث لك؟ لن انسى مطلقا قولك لي ان كل ما تريدينه مبلغا صغيرا وسألتني ما الذي سأخسره.»

«هذا قبل ان اعرفك، وقبل ان ادرك ما الذي ستخسره. وقبل ان اعلم كم مهم لك عملك.»

«ليس اكثر مما هو مهم عملك لك.»

قالت وهي تشعر بالتأثر من قربه:«هذا مجرد عمل واحد من اعمالي. المزرعة في بالمور هي واحدة من عدة مزارع سأعمل بها وماما مجرد قبيلة هندية

اعمل على مساعدتها. وهذا لا يشبه عملك ابداً.»
راقبها وهو يشعر بانجذاب كبير نحوها، تابعت:«انت تتحرك صعودا بينما انا اتحرك على الجانبين فقط.»
سألها وهو يضع خصلة من شعرها وراء اذنها:«اذن كيف تعتقدين ان اتجاهاتنا تقاطعت؟»
همست:«لا اعلم، لكنني سعيدة من لقائنا.»
اقترب منها وأمسك وجهها بين راحتي يديه، اراد ان يعانقها لكن صوت رجل يقطع بالمنجل ذكره بأن هذه رحلة عمل، وان عليه اتخاذ قرار بشأن الاعمال هنا ومقابلة الناس، ومن دون ان يتكلم امسك بيد كاترين وسارا نحو منزل الرجل الذي يصنع القوارب، وجد الرجل هناك ومنجله على الارض امامه، ظهرت ابتسامة على وجهه الاسمر وبفخر عرض عليهما كيف يصنع الجوانب ثم قلب القارب من خلال المواد المتوفرة لديه.
ثم اعاد انتباهه الى قارب اللعبة الذي احضره الولد وذهبوا جميعاً الى المياه لتجربته. جثت كاترين لتراقب القارب الصغير يعوم على المياه الصافية. لقد صنع بعناية تماما كالقوارب التي ذهبا فيها للصيد هذا الصباح.
وببطء رجعوا الى منزل مايكل حيث كانت زوجته تغزل الصوف لتصنع النسيج.
قالت كاترين:«والدتي كانت تغزل الصوف بنفسها، لم احظ مرة بكنزة من المتاجر قبل ان اصبح شابة. وقد علمتني كيف اغزل الصوف ايضا.»

سلمت على زوجة مايكل وسارت هي وجوشوا نحو الشاطىء حيث القوارب تجفف من حرارة الشمس.
سألها جوشوا، وقد جلس على الشاطىء:«كيف يمكنك القول ان والديك لم يتركا لك شيئاً؟ بالإضافة الى ذكرياتك، اعطياك الكثير من المهارات، كالحياكة والطهي حراثة الارض.»
ابتسمت وقالت:«كل شيء ما عدا القدرة على الجدال في الاسعار، ماذا سنقول لهم في البنك؟»
«ان صناعة تعليب السمك ستحضر القوارب الآلية لهذه البحيرة ان شئنا ذلك ام رفضنا.»
قالت:«هذا هو التقدم، واعتقد انه امر محتم.»
«وان لم تحصل هذه القرية على القوارب فلن تتمكن من مجاراتهم، وان تسمع بحدوث ذلك.»
هزت رأسها وقد شعرت بالراحة انهما لن يخيبا امل هؤلاء الناس الذين اعجبت بهم. ساعدها كي تقف وبصمت سارا نحو المدرسة.
وجدا داخل المدرسة ان كل شيء قد اعيد الى ما كان عليه قبل مغادرتهما. بدلا ثيابهما من اجل حفلة الوداع التي يقيمها القرويون لاجلهما.
قالت كاترين وهي ترتب تنورة ثوبها الازرق القطني:«هذه تجربة جديدة علي. اتخاذ دور موظفة بنك لأيام قليلة. لقد اعطتني احترام وتقدير جديد لعملك.»
سألها وهو يضع يده على خدها:«عملي؟ وماذا عني؟»
قالت بسرعة وهي تشعر بدقات قلبها تتسارع:«انا دائما

اكن لك الكثير من التقدير والاحترام.» انها كلمات آمنة. والان لو انه يترك الامر عند هذا الحد. لكنه لم يفعل، لمس ذقنها بأصابعه، فأغمضت عينيها وتساءلت متى تحول الاحترام الى اعجاب والاعجاب الى شيء آخر؟ شيء قريب جدا من الحب.

رفعت نظرها اليه وقالت:«لا بد انه حان الوقت للذهاب الى الحفلة.»

كان منزل مايكل مليء بالموسيقى والضحك والطعام. النساء تتمايل في ثيابها الملونة وتبتسم لهما بخجل. قدموا لهما فنجانين من الشاي اجلسوهما على افضل مقعدين لمراقبة الاحتفال.

وجدت كاترين نفسها تصفق وتتمايل مع الموسيقى وقد نسيت كل شيء غير دفء وصداقة هؤلاء الناس الذين بالكاد تعرفهم. وقبل ان يغادرا قالوا لهما اتجاه جزيرة الشمس وهكذا يمكنهما الذهاب مع الشروق ليتعرفوا على اسطورة هذه الجزيرة الشمس.

سارا جنبا الى جنب نحو المدرسة. ومن دون ان تتكلم بدلت كاترين ثيابها في غرفة الحمام الصغيرة. وعندما عادت وجدت جوشوا يقف قرب الباب ومازال مرتديا بنطاله الجينز وقميصه الزرقاء وكميه مرفوعين حتى مرفقيه.

جلست على فراشها. فقال بصوت مضطرب:«سأذهب لأمشي قليلا.»

«تمشي. الان؟ لماذا؟»

«لا بد انك تعرفين السبب. لا استطيع ابعاد عيني عنك ولدي مشكلة في ابعاد يدي ايضا. لا استطيع النوم بجانبك. وكل هذا لا فائدة منه. فلذلك اريد ان اخرج، فربما استطيع التفكير بطريقة اوضح.» ابتسم قبل ان يتابع:«بكل الاحوال، يكاد ان يحين الوقت لننهض ونذهب الى الجزيرة.»

قالت بصعوبة:«جوشوا.»

وقف عند الباب وقال:«ماذا؟»

«اشعر مثلك تماما، فأنا اريدك، لكنني اعلم انني لا استطيع الحصول عليك.»

سألها:«لماذا؟»

«لماذا؟ لا بد انك تعرف السبب. فنحن ذاهبان في اتجاهين مختلفين. انا لن انسى مطلقا ما فعلته لي والقرية. اقدمت على المخاطرة لأجلنا واعطيتنا الشاحنة.» تنفست بعمق قبل ان تتابع:«والآن جاء دوري لمساعدتك لتحقيق هدفك. قال لي العجوز بادرو انه موافق على مرافقتك الى المنجم. اليس هذا رائعا؟»

توقفت عن الكلام لتراقب وجهه يكفهر وكأن عاصفة سوداء مرت امامه.

«هذا ليس هدفي. اعتقدت انك فهمت ذلك. انه حلم. هذا كل شيء. هدفي ان اصبح الرئيس الاعلى لبنك عالمي. وان لا اقلق مطلقا بشأن المال. مطاردة الذهب ليس جزء من اهدافي وأحلامي.»

ارتجفت كاترين من غضبه وشدّت الغطاء الى كتفيها.

لقد افسدت المساء بتحدثها عن المنجم وربما افسدت الرحلة كلها. اطبقت فمها كي لا تقول اي شيء آخر، كان الاحلام مهمة جداً كالاهداف، وانه من المهم جداً ان يعرف المرء الفرق بينهما.

حدق بها للحظة وقال:«احتاج الى بعض الهواء المنعش. اراك عند الصباح.»

اغمضت كاترين عينيها بعد ان اغلق الباب وراءه. كيف يمكنه ان يبتعد عنها الان وهي تشعر بأنها قريبة جداً منه؟ قالت لنفسها هذا افضل. ما الذي ستفعله لو بقي هنا بقربها؟ لكن إذا كان هذا افضل لها، فلماذا تشعر بكل هذا الحزن؟

الفصل التاسع

ظنت كاترين انها لم تنم، لكن لا بد انها غفت قليلاً لأنها فجأة شعرت بيد جوشوا على كتفها.

همس قائلاً:«جزيرة الشمس، امازلت تذكرين؟»

فتحت عينيها على الفور وحدقت به وهي تمرر يديها بشعرها، وأخيراً تمكنت من الابتسام في الظلام.

قال وهو يبتسم لها:«اتمنى انك مازلت تذكرين كيف تجذفين بالقارب.»

اومأت برأسها مؤكدة له، وبسرعة ارتدت بنطالها وكنزة فوق قميص نومها.

بصمت، بينما كانت طيور النورس تطير فوق رأسيهما، عبرا المسافة نحو الشاطئ. ودفعا قارب الاغصان الذي استعاراه من مايكل تحت بريق النجوم المشعة والتي تزداد لمعاناً عن نجوم لاليوز والنجوم في باحة منزل كاترين.

بهدوء انزلا المجذافين في المياه وخرجا من الخليج نحو جزيرة الشمس. لم تسأله اين نام او ان كان قد نام، فهي تريد ان تنسى ليلة امس.

لم تكن تراه لأنه كان يجلس خلفها، لكن عندما اقترب القمر من المغيب، بدا مثل كرة من الذهب في السماء المظلمة. شهقت كاترين وأوقفت التجذيف للحظة.

قال جوشوا:«رائع الجمال، أليس كذلك؟»

www.liilas.com forum of affection

مدت يدها من فوق كتفها، فأمسك بها وشدّ عليها. شعرت بالدموع تترقرق في عينيها من شدة جمال السماء والبحر. لن تنسى مطلقا انهما تشاركا في هذه اللحظة الرائعة معا. ثم أدار القارب باتجاه الجزيرة.

بعد مرور نصف ساحة وصلا وتسلقا منحدرا قويا ليصلا الى الممرات القديمة المرتفعة كالدرج لتصل الى قمة الجزيرة. تعثرت كاترين وسقطت على الارض. امسك بها جوشوا حتى تلتقط انفاسها. تمتم في اذنها: «خففي عنك قليلا.»

قالت مبهورة الانفاس: «لا اريد ان اخسر ذلك المنظر، هذه هي فرصتنا الوحيدة.» امسكت بحافة صخرية فوقها وبمساعدة جوشوا صعدت اليها. وفي لحظة كان بقربها، قالت: «شكرا لأنك هنا لتمسك بي.»

قال: «سأكون دائما قربك.» وساعدها لتصعد المرتفع التالي.

قرب قمة المنحدر رأت كومة من الحجارة تحد من رؤيتها للسماء، مجرد بقايا لمنزل من قبيلة الانكا. هناك مدخل فقط. شدّ جوشوا بكاترين لتقف هناك. ووقفا صامتين. فجأة اشرقت الشمس واضاءت المكان تماما كما كانت تفعل دائما لشعب الانكا منذ قرون مضت. تنفست كاترين بسعادة وفرح، نظرت الى جوشوا فضغط بذراعه حول كتفيها.

قال: «اذن العجوز بادرو قد بدل رأيه. اتساءل عن السبب.»

نظرت كاترين امامها تراقب الشمس والسماء، غير قادرة على ان تصدق ان جوشوا ايضا قد يبدل رأيه، قالت: «شاهد حلما، حيث قال له المعلم ان لا يخاف من الذهاب الى هناك.»

وضع جوشوا يده امام عينيه من شدة اشعة الشمس وقال: «ان ذهبت، هل تأتين معي؟»

«بالطبع.»

ومن دون اي كلمة اخرى نزلا الممرات بهدوء وحذر حتى وصلا الى الشاطىء، صعدا الى القارب، لكن هذه المرة كانت الشمس والرياح وراءهما وهما يجذفان نحو القرية. وبدا كأن القارب يطير بهما فوق الموج.

تقلتهما الباخرة الشراعية الى اليابسة، ثم حملا حقائبهما واتجها نحو محطة القطار، وعلى رغم الحشد الهائل، كانا لا يزالان يشعران بحركة القارب تحت اقدامهما.

سألته عندما جلسا في القطار: «متى ستذهب الى المنجم؟»

«ما ان اتمكن من الحصول على وقت للذهاب.» قال ذلك ببساطة لكنها لاحظت تجهم وجهه. فكرت ان قراره الملاحقة حلم والده ليس بالامر السهل عليه.

عندما غادرت القطار واتجها الى الوادي شعرت بشيء يشبه الوحدة، ربما لأنها رأت منزلها تحت المطر، ويبدو مهجورا. ربما عندما قالت وداعا لجوشوا ووقفت تراقبه يغادر. حينها واجهت الفراغ في المنزل والحزن في قلبها.

لقد عاشت وحيدة في هذا المنزل لمدة ثمانية عشر شهراً ولم تشعر بذلك من قبل. لكنها لم تمضِ كل دقيقة من اليومين الماضيين مع احد من قبل ايضا. اوقدت النار فرأت جاكيندا الدخان من مدفأتها، فأتت لتخبرها ان المطر لم يتوقف عن الانهمار منذ ان غادرت. ارتدت سترتها وخرجت معها لترى الحقول المشبعة بالماء. ونبتات البندورة وكأنها زرعت في برك من ماء.

امضت يومين وهي تراقب المطر من منزلها، وتشعر بالقلق والتوتر اكثر واكثر. المرة الوحيدة التي خرجت فيها من المنزل ذهبت الى العجوز بادرو لتتفق معه من اجل الرحلة. وعندما اتفقا على موعد، ارسلت رسالة الى جوشوا فأتى الى السوق ليخبرها ان نهار الثلاثاء مناسب جدا له.

عملت كاترين على تحضير كل ما تريده عند الفجر. فقد حزمت حذاءها الطويل، منظارها وبنطالين من الجينز، ثم حزمت كيس النوم ووضعته امام الباب. اخذت تذرع الارض ذهابا وإيابا، متسائلة ما الذي يجب ان تحضره بعد.

في منتصف الصباح وصل هو يقود جيب مع غطاء للمطر ووعاء للوقود على ظهره. خرج من الجيب واقترب منها وهو يقول:«كل شيء جاهز؟» بينما كانت عيناه تلمع من الحماسة.

ابتسمت له وهي تسأله:«اين بادرو؟»

«يجلس في المقعد الخلفي. اراد ان يحضر معه حماره،

لكنني قلت له اننا لن نحتاجه. فلدينا هذا الجيب القوي.»

سألته:«ومن اين حصلت عليه؟»

«استعرته من زبون يملك مزرعة في كالاجيتا.» حمل حقيبتها وكيس نومها.

نظرت حولها في الغرفة وقالت:«اتمنى انني لم انس شيئا. وجدت من يقود الشاحنة الى السوق...»

بفقدان صبر اشار لها كي تسير امامه، فأغلقت الباب وصعدت الى الجيب، وضعت سلتها على المقعد الخلفي بجانب بادرو. حيّته، لكنه اشار برأسه، فتمنت انه لم يبدل رأيه، لكنه هنا وهذا كاف لتشعر بالثقة من الرحلة وبأنهم سيجدون الفضة.

ما ان غادروا الوادي حتى توقف المطر. وبعد مرور ساعة انحنى بادرو الى الامام ليتحدث معها.

قالت كاترين:«يقول كان يجب ان نترك هذا الوحش ونمتطي الحمير لتحمل الاغراض.»

سأل جوشوا:«وكم تحتاج الرحلة على الحمار؟»

«وقت اطول، لكنه يعلم ان الحيوانات اكثر ثباتاً.»

«قولي له ان هذا الوحش سيوصلنا بسرعة اكثر، هكذا.» وانعطف جوشوا بصورة مفاجئة نحو جانب الطريق الصخري.

شدت كاترين بقدميها على الارض واتسعت عينا بادرو قائلا:«هذا جيب قوي جدا.» واتجه نحو شجرة كبيرة وأوقف الجيب تحت اغصانها.

وما ان ترجلوا من الجيب، حتى طارت عن الاشجار عشرات العصافير الملونة.

تكلم بادرو فترجمت كاترين:«يقول ان هذا حظ جيد. فالعصافير تجلب الحظ.»

«هذا ما اتمناه. فنحن بحاجة لكل الحظ الذي نستطيع الحصول عليه.»

فتحت كاترين سلتها ووضعت قطعة قماش على الأرض وقالت:«ونحتاج ايضا للغداء.»

«احضرت معك الغداء؟ اعتقدت اننا سنتجه مباشرة الى سانتا كروز لنحضر ما نحتاج إليه.»

«جوشوا، لقد انتظرت كل تلك السنين، الا تستطيع ان نأخذ نصف ساعة لتناول الغداء؟ انه مكان جيد للنزهة، وقد اعددت فطائر باللحم كما تعدها جاكيندا.»

وضع يديه في جيبي بنطاله، قال:«حسنا، وهكذا سنصل الى المركز غدا. اذا تذكر بادرو اين هو.»

قدمت له فطيرة وسألته:«وإن لم يفعل؟»

رفع كتفيه وكأن الامر لا اهمية له:«سنعود الى اعمالنا وننسى كل الامر.»

شعرت بالراحة لقراره، وسكبت الليموناضة في فناجين معدنية. وعندما انتهوا من الغداء، تابعوا المسير ووصلوا الى سانتا كروز في وقت باكر مما ساعدهم على شراء كل ما يحتاجونه.

سمعته كاترين يسأل بادرو ان كان يتذكر الطريق، لكن لم يكن هناك الكثير من الضوء فأجاب بادرو بلايجاب.

انعطفت الطريق صعوداً وأصبحت تضيق اكثر وأكثر حتى اصبحت طريق لتمر بها سيارة واحدة بينما على الجانب الآخر منحدر شديد. اغمضت كاترين عينيها وضغطت على شفتيها كي لا تعترض.

فجأة توقف جوشوا، ففتحت كاترين عينيها، بصعوبة قرأت على إشارة انتبه. وجدت انهم في مكان محاط بالصخور ليمنع السيارات من التوجه الى الوادي تحتهم.

نظرة واحدة الى وجهه اعلمتها انه متوتر مثلها وأنهم لن يتقدموا اي خطوة في هذه الليلة. ببطء خرجت من الجيب، وتبعها بادرو. من الواضح ان الرجل العجوز كان ليفضل حماره البطيء الآمن.

قالت وهي تنظر الى الطريق الضيقة التي مروا بها:«لقد قطعنا مسافة طويلة.»

قال بتجهم:«لكن مازال امامنا طريق اطول.»

تمتمت وهي تضع يدها على ذراعه:«ربما ليست اطول، غدا، ستبدو الامور مختلفة وأكثر ألفة.»

قال وهو يلمس خدها:«هل قلت لك انني سعيد بوجودك معي؟»

«انا سعيدة ايضاً. هذه مغامرة في الحياة، وهي تخصك، لذلك اشكرك لأنك شاركتني بها.»

عانقها وهو يفكر انه يريد أن يتشارك بكل شيء معها. المغامرات والافراح والاحزان، اي شيء يصادفه.

قالت وهي تنظر حولها:«يبدو وكأنه موقع للتخييم.»

قال وهو يبتسم:«هذا إذا لم يقرر احد ان يخيم هنا ايضا.»

«لم نر سيارة واحدة منذ اميال، لذلك اعتقد ان المكان لنا بمفردنا.»

نظر حوله وقال:«لا مكان لنضع الخيمة.»

رفعت كتفيها وقالت:«لا داع، سننام تحت النجوم.»

هز جوشوا رأسه موافقا. فتح باب الجيب وأعاد المقعد الى الوراء حتى يتمكن بادرو من النوم براحة في داخله. حملت كاترين سلتها ووضعت القماش على الارض وهي سعيدة انها احضرت الكثير من الطعام. لكن كاترين لم تنظر الى هناك، بل نظرت الى جوشوا وهو يأكل سندويش مع الجبن. اتكىء على كوع واحد وقال لها:«هل تذكرين الرابع من شهر تموز؟»

«حيث تناولنا النقانق والسلطة.»

قال:«لم تشاهدي الالعاب النارية. وأنا مدين لك بليلة من الالعاب النارية.»

لم تجب بل انشغلت في طي القماش وإعادته الى السلة. عاد الى الجيب ليحضر كيسي النوم ووضعهما على الارض بجانب بعضهما. خلعت حذاءها واندست في الفراش. كان ينام بجانبها وقد وضع يديه تحت رأسه يراقب نجمة تتحرك الى البعيد.

قالت:«ها هي امامك، الألعاب النارية الطبيعية.» ادارت ظهرها له فهذه رحلة الاستكشاف وليس هناك مكان للعاطفة. عاطفة سيندمان عليها فيما بعد.

وعلى الرغم من صلابة الارض التي تنام عليها، وعلى الرغم من الاحساس بوجود جوشوا قربها نامت، ولم تستيقظ إلا على اشعة الشمس على عينيها ورائحة القهوة الشهية في انفها. تفاجأت ورمشت بعينيها وهي تجلس. ابتسم لها جوشوا من وراء بخار فنجان القهوة.

«من اين حصلت على هذا؟ اعتقدت انك لا تصنع القهوة!»

مال برأسه باتجاه بادرو الذي كان يحرك الطعام:«انا لا اجيد ذلك، لكن بادرو ماهر من حسن حظنا. فإن كنا سننتظرك لا بد اننا سنجوع.»

نهضت ولفت كيس نومها وحملته الى الجيب. بعد تناول الفطور وقفوا بجانب الجيب، ولاحظت كاترين ان التجهم قد عاد الى وجه جوشوا.

قال:«هل تسألين بادرو، ان كان يبدو له المكان مألوفاً اليوم؟»

هز بادرو رأسه دليل الرفض، فتابع جوشوا:«سنتابع المسير لفترة بعد.»

عندما صعدوا الى الجيب اغمضت كاترين عينيها كي لا تراه يسير عبر الطريق الضيقة والمنحدرة بشدة. انحنى بادرو الى الامام عند المنعطف التالي وأشار بيده نحو التلال البعيدة وقال بالاسبانية:«الاميرة النائمة.»

نظر جوشوا الى بادرو من خلال المرآة وسأله:«هل هناك المنجم؟» فهو لم يسمع مطلقا بذلك المكان.

اشار بادرو الى الجبل الصخري وقال:«المنجم من ناحية الشرق. ذلك هو طوكابامبا.»

سار جوشوا على مهل وكأنه يزحف بينما كانت كاترين تترجم له ما قاله بادرو، قال:«حسناً، اصبحنا نعرف اين هو، لكننا لا نعلم كيف سنصل الى هناك.»

وضع بادرو يده على كتف جوشوا وتكلم.

«يقول يمكننا الحصول على عدد من الحمير من المزرعة امامنا، بعد ذلك سنسير عبر الممر الموصل الى المنجم.»

اتسعت عينا جوشوا وقال:«هل من المحتمل ان المزرعة مازالت هناك بعد كل هذه السنين؟»

بعد ان قطعوا مسافة عشرين ميلاً رأوا سهماً يشير الغرب وتحته كلمات بالكاد تقرأ (مزرعة بيل سيلو). قاد جوشوا الشاحنة عبر طريق وعرة وتبع اثار عربة حتى وصل الى منزل مهدم. بدا مهجوراً، لكن عندما اوقف الجيب سمع صوت خيول ودجاج فنظرت كاترين إليه بدهشة.

اقترب رجل عجوز منهم وقد بدا اكثر دهشة لرؤيتهم. احنى بادرو قبعته، ولم تعلم كاترين ان كان يعرف الرجل ام لا، لكنه تمكن من استعارة ثلاثة حمير واشترى المزيد من الطعام للرحلة.

ملأوا السروج بالحاجات وربطوا اكياس النوم. نظرت كاترين وهي حائرة مما يجري حولها.

قال جوشوا وهو ينظر الى الجبال البعيدة:«هل انت

متأكدة انك قادرة على الذهاب الى هناك؟ لا بد ان المسافة طويلة جداً. سيمتطي بادرو حماراً ونحتاج الاثنين الباقين لحمل الامتعة.»

ربطت حذاءها ذات الساق العالية وقالت:«لن اخسر هذه الرحلة مقابل اي شيء.» وقد كانت صادقة بقولها. فستذهب الى ابعد من طوكابامبا لمشاركة جوشوا حلمه.

لم يظهر بادرو اي تأثير وهو يشق الطريق امامهما. تمنى جوشوا لو كان مثله، فهو خائف ان لا يجد شيئاً في نهاية الرحلة. شعر بأشعة الشمس تحرق رأسه وكتفيه، راقب كاترين وهي تسير امامه وقد وضعت قبعة كبيرة من القش على رأسها لتحمي نفسها من اشعة الشمس. اسرع الخطى ليصبح قربها وسألها:«هل تشعرين بالتعب؟»

هزت رأسها ولمعت عيناها بالحماس:«هذه افضل رحلة اقوم بها. اشعر وكأننا نزور عالماً آخر. كل شيء مختلف هنا. الشمس، الارض، حتى نحن، نحن ايضاً مختلفون.»

توقف ليشدها إليه، قال معترضاً:«انت مازلت كما انت، جميلة ومثيرة. ما كنت هنا لولاك. وما رغبت لأن اكون هنا بدونك. لا اريد ان اكون في اي مكان بدونك.»

سار امامها وبعد فترة توقفوا قرب مدخل لكهف. رأوا على جدار الكهف اسماء حفرت في الجدار الحجري. قرأ جوشوا الاسماء والتواريخ، لكنه لم يرَ إسم والده هناك.

وقف بادرو ونظر الى الجبل، اخيراً قال:«سنصل الى هناك هذه الليلة.» ثم ربط الحمير الثلاثة بحبل واحد وبدأوا بالتسلق. عند كل منحدر كانوا يرون إشارات على اعمال قديمة.

وقف بادرو للحظة ونظر حوله. فغاص قلب جوشوا. فقد بدا بوضوح انهم اضلوا الطريق. لقد تأخر الوقت ليعودوا ادراجهم عليهم ان يجدوا مكاناً لقضاء الليل فيه حتى يرحلوا غداً. لكن بادرو تابع السير فتبعاه. رأياه يرفع نظره الى السماء وكأنه يطلب المساعدة. انهارت آمال جوشوا وشعر بقدميه ثقيلتين.

لاحظ من خطوات كاترين انها فقدت نشاطها. مسحت التعرق عن جبينها بكم قميصها. فسألها جوشوا:«هل يعلم اين يذهب؟»

قالت بصوت متعب:«لقد مرت اربعون سنة. فالاشياء تتغير. انزلاق اراض او هزات، لكن لا تقلق. ان قال سنصل الى المنجم هذا المساء، فهذا ما سيحدث.»

عند المغيب وصلوا الى تقاطع في الجبل الاجرد. اوقعت حوافر الحمير الحجارة على علو مئات الاقدام. توقفت كاترين واتكأت على بصخرة، ابقت عينيها على بادرو. شعرت بخدر في قدميها وبيديها باردتين. لم تستطع ان تتحرك.

اقترب جوشوا منها وسألها:«هل انت بخير؟»

لم تستدر، قالت بصوت متوتر:«طالما لا انظر الى اسفل.»

بحذر قفز ليصبح امامها. امسك بيدها وشدها بعيداً عن الصخرة:«انظري إلي ولا تبعدي عينيك. هذا مكان صعب جداً تسلقه على ظهر حمار.»

نظرت الى عينيه وشعرت بالقوة من شدة تأثره. لم تسمح لنفسها بالتفكير في الوادي تحتها، فكرت به، فقط به، ووضعت نفسها بين يديه. كانت يده قوية ودافئة. شدها بقوة وثبات ليتابعا السير الى اعلى وأعلى. فجأة اختفى بادرو مع الحمير فوق قمة حافة، والصوت الوحيد الذي سمعاه هو صوت الهواء يصفر عبر الوادي.

قال لها:«انظري إلي، انها مجرد خطوات قليلة بعد، لقد وصل بادرو.»

عندما وصلا الى القمة سقطت بين ذراعيه فأمسك بها بقوة. ابعدت ذراعيها وببطء نظرت حولها. وسألت:«اين بادرو؟» فنظر حولهما. فجأة ظهر من مدخل من جانب الجبل. كان يحمل صخرة وهناك قليل من الوحل على جبينه قال:«لقد فتح المنجم من جديد.» لكن عينيه الحزينتين اظهرتا عاطفته وهو يتابع:«في مكان ما في الداخل جثث اصدقائي، عمال المناجم.»

وضع جوشوا يده على كتف الرجل العجوز، قال:«لن نبقى طويلاً، فقط المدة الكافية لنأخذ بعض العينات لنعود بها الى المختبر.»

امسك جوشوا بمصباحه من احد السروج. جثى وبعناية ملأه بالوقود وأناره. ومن خلال الضوء رأى التوقع في عيون بادرو وكاترين. اراد ان يقول لهما ما الذي

يعرفه في قلبه، بأن لا وجود للفضة هناك. فقط احلام وأشخاص ضائعة، الفشل وخيبة الامل. لكنه لا يستطيع ان يقول لهما ذلك. عليهما ان يريا ذلك بأنفسهما. قال وهو يسير نحو المدخل:«لندخل.»

«الآن؟» نظرت كاترين حولها، الى الصخور الباردة والسماء المظلمة. هز بادرو رأسه وتراجع الى الوراء. لكن جوشوا لم يره. بالكاد لاحظ توتر كاترين. كان قلبه يخفق بسرعة. هل هذا هو الشعور الذي حمل الرجال لترك عائلتهم والبحث عن المجهول؟ هل هذا ما دفع والده لترك عائلته والسفر الى ارجاء الارض كلها؟ هل هذا ما يسمونه إصابة مرارة التنقيب على الذهب؟

قال:«الآن.» فتبعته الى مدخل النفق. فجأة اصبح كل شيء مظلماً وباردا. ارتجفت فامسك بيدها. اضاء المصباح النفق الضيق المليء بالوحل الاسود. بدت الجدران الضيقة تكاد تطبق عليهما.

سألته:«ان كان المنجم قد انهار مرة، الا يمكن ان ينهار من جديد؟» وانحنت لتلتقط حجراً رماديا فيه خطوط حمراء ارتطم بقدمها.

سألها:«هل تريدين ان تنتظري في الخارج؟»

قالت تؤكد له، وهي تضع الحجر في جيبها:«لا، لقد وجدت شيئا ما. وربما قد يكون له قيمة خاصة، من يعلم؟»

«يبدو ان الانهيار قد حصل منذ فترة بعيدة.» ووجه المصباح نحو اعمدة الخشب الموضوعة على الجدران

والسقف. تابع وهو يمسك بقطعة من الوحل من الجدار:«اعتقد اننا بأمان هنا.»

سألته:«ما هذا؟»

«ربما مجرد وحل، لكننا سنأخذه لنعمل على تحليله.»

«لا يبدو كأنه فضة.»

«من الصعب معرفة الفضة من خلال النظر، غداً سنصل الى مكان ابعد، ان كان هناك فضة، سنكتشف ذلك. لكن الفضة غالبا ما توجد مع الرصاص والزنك.»

تفاجأت من معرفته عن المناجم، تبعته الى الخارج حيث الهواء المنعش، سألته:«وكيف تعرف كل ذلك؟ من والدك؟»

أومأ برأسه وقال:«لقد قمت ببعض القراءات بنفسي.»

وضع بادرو فراشه في ابعد مكان عن مدخل المنجم، بينما جوشوا وكاترين ناما قرب النار.

شدت بكيس النوم حتى ذقنها، وآلاف الاسئلة تدور في فكرها. راقبت ألسنة النار تتماوج على وجه جوشوا. سألته اخيرا:«ماذا إذا لم يكن هناك اي فضة؟ ما الذي ستفعله؟»

«سأرحل من هنا، ماذا يمكن ان افعل غير ذلك؟» استلقى على ظهره وتابع:«لم آتِ الى هنا من اجل الفضة، سيكون ذلك مجرد ربح إضافي.» لم يقل لماذا اتى، لكنها علمت السبب. اتى ليجد نفسه. ليجد الشخص الحالم في نفسه وليجعل مكاناً في حياته لهذا الجزء. ان لم يفعل ذلك، فلن يكون لها مكان هي ايضا.

عند الصباح وقفوا قرب النار، يشربون القهوة، ويحدقون بدون إرادة منهم الى مدخل المنجم. وضع جوشوا فنجانه وحف يديه. نظر الى وجه كاترين ورأى خطوط التوتر على جبينها. امسك بذقنها وابتسم لها: «لا تقلقي. لست بحاجة الى الفضة ولا بادرو ايضا. مهما حدث سنتابع حياتنا.»

هزت برأسها وان لم تكن مقتنعة. فهو ايضاً غير مقتنع. صحيح انه ليس بحاجة للفضة، لكنه يريد شيئاً آخر. وما هذا الشيء لا يعرف، ولن يعرفه حتى يجده.

سألها وهو يحمل رفشا بيد والمصباح باليد الاخرى وحقيبة معلقة بحزامه لأخذ العينات: «هل انت جاهزة؟»

دخلا الى النفق وبادرو يراقبهما بحذر. انارت المصباح اليدوي على الصخور، فرأت حشرة كبيرة. عضت على شفتها كي لا تصرخ. سقطت عليهم بعض الحصى من السقف. فالتقطت كاترين بعضها وهي تمر.

وعندما تكلمت قالت بهمس: «قد يكون فيها بعض الغبار من الفضة.»

«ضعيها في الحقيبة.» وعندما وصلا الى نهاية النفق، اتكىء جوشوا على الجدار ونظر حيث يضيء مصباحه، رأى آلة لثقب الصخور صدأة وقديمة.

وضع مصباحه جانبا وجثى على الارض. شعر بشيء قاس تحت الغبار. «كاترين، هنا، اديري مصباحك في هذا الاتجاه.» وحفر في الغبار الناعم بأصبعه. شعرت بقلبه يضطرب من شدة الحماس. وبعد

ان حفر للحظات رفع محفظة صغيرة من الجلد. اضاءت كاترين على المحفظة وقالت: «ما هذا؟»

رفع المحفظة وضغط بأصابعه على الاحرف، وعندما حرك المحفظة، سقط مكبر زجاجي في يده، قال بصوت ضعيف: «هذه لوالدي.» وأعطاها اياها وحفر في التربة اكثر قبل ان يجد بوصلة، غطاها ممزق لكن ابرتها تتحرك بشدة من الشمال الى الجنوب. «وهذه ايضا.» جثى لفترة طويلة حتى بدأ نور المصباح يضعف.

قالت كاترين بقلق: «جوشوا، لنأخذ هذه الاشياء الى الخارج ولنحصل على بعض الهواء.»

وقف ووضع الاشياء في جيبه، حملا الآلة والرفش وعادا الى الخارج. شعر جوشوا وكأنه اصيب بالانهيار الذي حدث منذ اربعين عام. وعندما اعتادت عيناه على الضوء، جلس على الصخرة وأخرج المكبر الزجاجي من جيبه.

اقترب بادرو منه بحذر، وقد شعرت بالراحة لرؤيتهما. قدم جوشوا له المكبر ليراه. قال بالاسبانية: «انها لوالدي.» فاتسعت عينا بادرو.

قال: «المعلم، والدك المعلم.» ثم استدار وعاد الى المنجم، ليتذكر الماضي مرة اخرى.

رأت كاترين الحرفين "ج. ب".

قال جوشوا: «جايمس بنتلي. علمت انه اضاعها. كان لديه الكثير منها، لكن لم تكن مثلها. عندما اضاع هذه، اضاع منجم الفضة، ايضا. اعتقد ان هناك

مناجم اخرى، وان هناك وسائل اخرى ليصنع ثروة، لكن تعلمين ماذا حدث، مات مفلسا.» حرك المكبر في يده وتابع:«حسنا، لقد وجدنا الزجاج، لكن لم نجد الفضة.»

جثت كاترين بجانبه وأمسكت بيده:«قلت لست بحاجة الى الفضة. قلت ان لا اهمية للأمر.»

«لا اهمية للأمر بالنسبة إلي لكنه مهم له. اردت ان اجده لأجله، لكي يتمكن من النجاح، حتى ولو بعد موته.» اعاد جوشوا المكبر الى جيبه وحدق بالجبال وراء الوادي من دون ان يراه وتابع:«لم ادرك كم كنت اريد ذلك.» المرارة والألم خنقا صوته.

سألها:«هل تصدقين ان والدي امضى حياته كلها يفكر في هذا المكان؟ يا للخسارة، وهذا ما كان يثير اهتمامي. ان رجلاً يضيع حياته بحثاً عن كنز ضائع.»

قالت بهدوء:«هناك امور اسوء بكثير.»

تأوه ونظر إليها متسائلاً. فحاولت ان تجد جواباً، قالت:«اقصد، على الاقل لقد تبع احلامه ولم يمض حياته في مكتب، متسائلا كيف ستكون حياته لو...»

«يمكنك قول ذلك. فهو لم يعمل في اي عمل ثابت طوال حياته.»

«افهم ذلك، لكنه لم يفكر مرة بالتراجع. كان يعلم ما الذي يريده وقام به.»

قال وهو يزفر:«آه، كاترين، انت لا تعرفينه.»

«وأنت هل عرفته؟»

«بالطبع عرفته. انا من كنت اصغي الى قصصه. لقد كاد ان يجعلني اؤمن بكل كلمة يقولها. انه افضل من يروي القصص. الرجل الذي لا يتخلى عن حلمه والذي لم يكبر يوماً. لن اسامحه ابداً، لكنني لن انساه، ايضا.» قال ذلك بتأثر، ثم رفع ذراعيه نحو السماء وصرخ:«حسنا، ابي، انا هنا. اين الكنز؟»

تردد صدى الكلمات بين الجبال وكأنها تسخر منه. الكنز... الكنز... الكنز... استدارت كاترين ونظرت إليه، صرخ من جديد:«اين يجب ان انظر؟»

وعاد الصوت إليه، انظر... انظر... انظر...

نظر جوشوا الى البوصلة في يده. تحركت الابرة وأشارت الى كاترين والى مدخل الكنز وراءها. شعر بدقات قلبه تتسارع. انه على حافة اكتشاف ما. ربما سيجد جواباً لأسئلته. فقط انظر، هذا ما بدا صوت والده يقول. انظر حولك. المسافة التي توصله الى المنجم امامه، وتعد بالثراء. وعد فارغ من منجم فارغ.

حدق ثانية في البوصلة، فأشارت الابرة إليه. وفجأة فهم. قال وهو يضع البوصلة في جيبه وقال:«انت على حق، انا لم افهمه. لم اعلم لماذا ترك لي الاسهم في المنجم حتى الآن.»

«لا افهم ما تقول. لم نجد شيئاً هناك الا ادواته ومازالت الاسهم بلا قيمة.»

«هذا ما اعتقدته، لكنني كنت مخطئاً. قلت انه لم يترك لي شيئاً، لكنه فعل.» نظرت كاترين الى عينيه وهي

تشعر بالحيرة، ضمها إليه وقال:«اعتقد انه ترك لي المنجم لأجد بنفسي ما معنى أن يكون الانسان على حافة المجهول، ليجعلني اكتشف نفسي.»

سألته:«وما الذي اكتشفته؟»

«اكتشفت انني املك حلماً مثل أبي وانني مجذب مثله الى المجهول. لم يكن من المحتمل ان آتي الى اروكا. كان من المفترض ان اذهب الى باناما، ومن ثم الى كولومبيا. لكنني تخليت عن الاثنين معرضا عملي الى الضياع، ومتمنيا ان يحدث شيئ ما. فأتى هذا العمل. وأتيت الى هنا كذلك انت، كلنا في ذات الوقت.»

«اذن نجح والدك في نهاية الامر بإحضارك الى هنا.»

«بل بإحضارنا معا الى هنا.»

«والآن بعد ان اصبحت تعلم ماذا اراد ان تعرفه، ما هو شعورك؟»

وكجواب على سؤالها رفعها في الهواء ودار بها، فضحكت بصوت عالٍ. شعرت بالفرح والراحة. وكان ذلك اجمل صوت سمعه.

وضعها على الارض وقال وهو يبتسم:«كيف اشعر؟ اشعر بأنني بألف خير، لكنني اشعر بالأسف على والدي، واتمنى لو انه يراني الآن.»

قالت وهي تنظر الى الغيوم:«ربما يستطيع رؤيتك.»

قال:«ربما ما تقولينه صحيح، فأنا اليوم اؤمن ان كل شيء ممكن.»

«مثل ترقيتك؟»

«نعم. لا، لم اكن افكر بها. في الحقيقة، لم افكر بها منذ ايام او ربما اسابيع. لم يعد للامر اهمية بعد الان. المهم الآن ما وجدته هنا. اشعر وكأنني وجدت حلاً لمشكلة لم اكن اعلم بوجودها. هل ما اقوله منطقي؟»

مسحت يديها الرطبتين ببنطالها وقالت:«اعتقد انني افهم. والان ماذا سنفعل؟»

شعر باحساس كبير من الثقة والراحة، وكأن ثقلاً قد نزع عن كتفيه، لم يعد خائفاً من الفقر والضياع. الشيء الوحيد الذي يخشاه هو ان يخسر كاترين.

قال وهو يضع يديه حول وجهها:«اشعر وكأن اي شيء ممكن، انت... انا... اي شيء.»

قالت مبهورة الانفاس:«نعم، لكن...»

مهما كان الذي ستقوله فهو لا يريد سماعه. لا يريد ان يسمعها تقول انها لا تحبه او ان لا مستقبل بينهما بسبب خطتها لمدة خمس سنوات، او بسبب تصميمها على عدم العودة الى الولايات المتحدة. لا، ليس الان. ليس وهما على قمة إحدى جبل في العالم.

قالت متعلثمة:«انه حقا يوم مميز.»

قال وهو يبتسم:«ولم ينته بعد. اريد ان اعود الى الداخل. اريد ان اجمع من كل عينة من الصخور. ولا ادري ما هو السبب، لكنني سأفعل.»

رفعت الرفش بيدها وقالت:«حسناً.»

امضيا الليلة الاخيرة في المنجم، وناما قرب النار. اراد ان يخبرها بما يشعر به الان، كي يعتاد على فكرة انه

www.fifae.com Bonded by affection

يحبها. لكنه يتساءل ان كانت جاهزة لتسمع ما يريد قوله.

في اليوم التالي وضعوا الحجارة في السروج ونزلوا الجبل. وحين وصلوا الى المزرعة دفع من اجل استعمال الحمير، ووضعوا الاغراض كلها في الجيب، ثم شكروا الرجل العجوز وانطلقوا عائدين الى بالمور.

كانت السماء لا تزال تمطر في الوادي عندما وصلوا في مساء ذلك النهار. بعد ان تركا بادرو في متجره الصغير، رافق جوشوا كاترين الى منزلها. وعندما حملت حقيبتها، وجد الحجر الذي وضعته في جيبها على المقعد.

«لا تنسي هذا الحجر كذكرى لرحلتك.»

مررت اصابعها على الخط الاحمر الداكن في الحجر الرمادي وقالت:«اعمل على تحليله مع الحجارة الاخرى. ربما حصلت على حجر من العقيق.»

ابتسم قائلاً:«سافعل ذلك، وما ان احصل على النتائج، ساخبرك. عليّ ان اعيد سيارة الجيب الليلة، لكن يجب ان اراك، فنحن بحاجة للتحدث.» وبدلاً من ان يتحدث انحنى وعانقها. كان يخشى ان يغادر لأن الامور ستتبدل بينهما.

قال واعداً:«سأمر في السوق غداً لأراك.» احساس من الثقة حل مكان شكوكه، حتى قارب صغير.

الفصل العاشر

ما ان غاب جيب جوشوا وراء المنعطف حتى ظهرت جاكيندا عند باب كاترين، وهي ترتدي معطفاً واقياً من المطر. ومن دون ان تضيع اي وقت في السلام عليها سحبت سلة من البندورة من تحت معطفها ورفعتها لتراها كاترين.

تجهم وجه كاترين وهي تنظر الى البندورة الملينة بالبقع البيضاء. تمتمت:«آه، لا.»

قالت جاكيندا:«تحتاج البندورة الى الشمس، ولو الى القليل منها، لا يمكننا ان نأخذ هذه الى السوق.»

«وماذا عن البطاطا والبطيخ؟»

هزت جاكيندا رأسها:«تهتزي في الحقول.»

نزعت سترتها وحذاءها ثم وضعت ماء على الموقد لتعد الشاي ثم استدارت نحو جاكيندا.

قالت المرأة العجوز وهي تجلس الى الطاولة:«ما الذي سنفعله؟»

حفت كاترين يديها وقالت:«سننتظر، وطالما لدينا الوقت الكافي، سنخيط ثياباً لطفل ماجداليا. قولي للنساء ان تأتي الى منزلي بعد الظهر.»

ابتسمت جاكيندا لها وعلقت:«علمت انك تملكين جواباً لكل شيء.»

وبعد ان سكبت كاترين الشاي، مالت جاكيندا الى

الامام وقالت «لكن ماذا عن البنك؟ لم نذهب الى هناك منذ عدة ايام. ما الذي سيقوله السيد بنتلي عندما لا نظهر مع المال؟»

نظرت كاترين الى الروزنامة على الجدار. وضعت دائرة حمراء حول رقم سبعة عشر، قالت بقدر ما تستطيع من الثقة: «لدينا عدة ايام بعد قبل ان نبدأ بالقلق. وسنفكر في شيء ما. فقد تتوقف الامطار حينها.»

كل يوم كنّ تخيطن الاغطية والثياب للطفل والجوارب للرجال في المنجم، ومع ذلك بقي المطر ينهمر. وضعت كاترين جانبا ابرتها وسارت نحو النافذة. اخيرا كتبت رسالة الى البنك توضح فيها المشكلة، لكن شاحنة ساعي البريد غاصت في الوحل خارج البلدة ولم تصل من او الى بالمور اي رسالة لعدة ايام. لا بد ان جوشوا يتساءل لما لم يظهرن في السوق او لم يذهبن الى البنك لدفع المال. لكن من المؤكد سيعتقد ان هذا التأخر له علاقة بالطقس.

وعندما تمكن ساعي البريد من إخراج شاحنته من الوحل، احضر رسالة الى كاترين. كانت النساء مجتمعة في مطبخها وأصواتهن تتعالى فوق صوت المطر. رأت اسم البنك في احرف سوداء كبيرة على المغلف. وقبل ان تفتحه تنفست بعمق. عندما قرأت الرسالة كلمات محددة برزت امام عينيها، الملاحظة الاخيرة "في منتهى الاهمية" "اي عمل مسبق" "فوات الاوان" وقعت الرسالة باسم شخص لم تسمع به يوما. وقفت كاترين عند

حاجب باب المطبخ، وهي تشعر وكأن الدم قد جف من وجهها.

قفزت جاكيندا من مكانها وأمسكت بيدي كاترين. سقطت الرسالة على الارض سألتها باهتمام «هل هناك اخبار سيئة من بلادك؟»

امسكت كاترين بالكرسي وقالت «لا. ليست من بلادي.» ثم جلست مع النساء لتشرح لهن ماذا تعني الرسالة. قالت معظمهن ان جوشوا لا يفعل ذلك، وان عليهن التحدث معه، لكن في النهاية وافقن ان تأخذ كاترين الشاحنة. حاولن ان يظهرن انهن قويات لكن خيبة الأمل كانت واضحة على وجوههن. لم تستطع كاترين ان تتحمل نظرات الحزن في عيونهن. استدارت وصعدت الى غرفتها لتبدل ثيابها. هذه الرسالة عملية جدا. هل يعلم جوشوا بشأنها؟ ام هي فكرته؟ هو يعلم انها وعدته ان تعيد الشاحنة ان توقفوا عن دفع المال. حسنا، لقد حدث الاسوء وعليها ان تعيد الشاحنة الى المكان الذي احضرتها منه، وراء البنك. ثم ستذهب الى مكتبه لتضع المفاتيح امامه. اذا اراد البنك استعادة الشاحنة، فستسهل الامر عليه. ووضعت الرسالة في جيبها وقادت الشاحنة عبر الطريق العام.

لكن ما ان ابتعدت عن الوادي حتى تضاعف هطول المطر ولم تستطع الا رؤية بضعة اقدام امامها. لم تعد تشعر بالراحة وهي تقود الشاحنة، تمنت لو انها مازالت في المطبخ جافة وآمنة.

اندفعت عجلات الشاحنة نحو حفرة مليئة بالمياه، مما جعل الوحل يتطاير حتى نافذتها وعلى الزجاج الامامي. ضغطت على المقود بقوة وهي تحاول تجنب حفرة ثانية من الوحل. فاندفعت نحو حافة الطريق. انهار الاسفلت وشعرت بالعجلة الامامية تفقد توازنها وتنحدر نحو الحافة.

فتحت فمها لتصرخ، لكنها لم تستطع، سارت بسرعة بين الاشجار وضربت رأسها بقوة بسطح الشاحنة ورات امامها شجرة كبيرة حطمت مقدمة الشاحنة. شعرت بالم كبير في صدرها وكأن رمحاً قد اخترقه، ومن ثم تحول كل شيء حولها الى ظلام داكن.

وقف جوشوا في زاوية المنعطف على الطريق عند الفجر كما كان يفعل دائما منذ نهار عودته، مراقبا الشاحنات تمر امامه. تجاوزت الساعة السابعة ولم تصل بعد. ما السبب الشاحنة ام المطر؟ ام ان هناك شيئا ما قد حدث؟ لا يستطيع الانتظار ليوم آخر بعد. عليه ان يعلم ما الذي يجري في الوادي.

توجه بسيارته خارج البلدة متجهاً نحو بالمور. بدا المطر بالانهمار بعد مرور ساعة من مغادرته البلدة. لكنه لم يخفف من سرعة سيارته.

بعد مرور ساعة رأى اثر للعجلات السوداء منحرفة عن الطريق، فعمد على التوقف على الجهة المقابلة للانزلاق. بعد لحظات فقط كان يقف على حافة الطريق وقلبه يخفق بسرعة ويداه ترتجفان.

تبع اثر العجلات وقد رأى انها تسير باتجاه الغابة. كاد ان يصرخ باسمها لو ان هناك اي هواء في رئتيه. اخيرا وعند منتصف الانزلاق رأى الشاحنة وقد صدمت بشجرة ضخمة. كانت منحنية فوق المقود، وهناك نتؤ كبير في جبينها وجرح تحت عينيها. فتح الباب وحينها استطاع التكلم.

«كاترين؟»

ارتجفت فشعر برغبة في البكاء. هي لا تزال على قيد الحياة. حركت عينيها وهو يرفعها فوق كتفه، لاحظ انها لا تعاني من جراح داخلية.

حملها عبر المنحدر المنزلق، وهو يتنفس بصعوبة قطع الطريق ووضعها بعناية في المقعد الخلفي. تأوهت فوضع سترته حولها. ان كانت بخير، لن يدعها تقود الشاحنة مرة ثانية. لن يدعها تغيب عن ناظريه مرة ثانية. انه مسؤول عن ذلك، ما كان عليه ان يعطيها المال لشراء الشاحنة.

ما الذي يفكر فيه؟ فكاترين هي آخر انسان في العالم بإمكانه ان يمنعها عن القيام بما تريده. ان ارادت ان تقود الشاحنة فوق طريق جبلية وتحت المطر، ستفعل ذلك. لكن لماذا اليوم؟ ولماذا هي بمفردها؟ اين المحاصيل؟ وأين النساء؟

بقيت الاسئلة في فكره ومن دون إجابة. وهو يراقبها تدخل غرفة الطوارىء على حمالة.

عندما اتى الطبيب لرؤيته، بدا جاداً ومن دون هزل.

رفع نظره إليه وقال:«انت زوجها؟»

«لا، ليس بعد.»

هز الطبيب رأسه وقال:«لديها ارتجاج في الدماغ وثلاثة اضلع مكسورة.»

قال بحزن:«وماذا ايضاً؟»

ابتسم الطبيب:«هذا كل شيء. وأكثر من كاف. يجب ان ترتاح بشكل كامل حتى تشفى ضلوعها. هل ستعمل على ذلك.»

اكد جوشوا له:«بالطبع.»

«اما بالنسبة الى الارتجاج، انها تمر في حالات من الوعي وفقدان الوعي. لذلك يجب ان تستيقظ كل ساعة لنرى ان كان بؤبؤي عينيها متساويين ويتفاعلان مع الضوء. يمكننا ان نبقيها هنا طوال الليل، او بامكانك ان تفعل ذلك في المنزل.»

«سأفعل ذلك بالمنزل.»

قال الطبيب محذراً:«يجب ان لا تقوم بأي نشاط يحتاج الى تركيز او حركات ناشطة.»

احضروها على كرسي متحرك وقد وضعت ضمادة فوق عينيها، اعطوا جوشوا كيسا فيه اغراضها. كانت ترتدي روبا من المستشفى وقد وضعت سترته حول كتفيها. رأى ان جفنيها ثقيلان لكن ما ان رآته حتى نادت باسمه بصعوبة. ضغط على يديها بشدة وشعر بالدموع تتجمع في عينيه.

رفعها بنعومة امام المستشفى ليضعها في السيارة.

وعندما شهقت من الألم تمتم في اذنها:«آسف، اني آسف. هل تشعرين بكثير من الألم؟»

ضغطت على عينيها وقالت:«قليلا.»

بدت له الاميال القليلة الى شقته طويلة. حملها الى المدخل ومن ثم الى المصعد والى منزله. اسندت رأسها على ذراعه، فقد عاودها النوم. جثى امام السرير، ونزع الاغطية ليضعها براحة عليه. انحنى وقبلها على خدها فوق الجرح.

وضع يده على جبينها، وشعر بعاطفة كبيرة تسيطر عليه. عليه ان يوقظها كل ساعة. هل مضى ساعة؟ لا، انها مجرد دقائق. اشغل الانذار في ساعته، ثم اخذ يراقبها وهي نائمة.

عندما ايقظها لم ترد فتح عينيها، لكنه امسك برأسها بين يديه حتى فعلت. لكنها عادت الى النوم ما ان تأكد من حركة عينيها.

اعد لنفسه القهوة وشربها وهو جالس على كرسي قرب نافذة غرفة نومه يراقبها. نام قليلا وقد مدّ ساقيه امامه وعندما ايقظته ساعته مرارا وتكرارا، كان يتأكد كل مرة ان كانت عيناها سليمتين وتتجاوبان للضوء.

في الصباح اشرقت الشمس ودخلت اشعتها نافذته. فتحت عينيها قبل ان يطلب منها ذلك وحدقت به مندهشة للحظات.

قالت:«جوشوا، ما الذي حدث؟» ولمست الضمادة حول رأسها برؤوس اصابعها. كان شعرها الاسود المتجعد

يلتف حول وجهها وملقى على الوسادة. لم تبدُ يوماً اجمل مما هي عليه الآن.

جلس على حافة السرير ولمس بأصبعه النتوء في رأسها:«لقد تعرضت الى حادث. وكسرت ثلاثة اضلع وأصيب رأسك.»

تأوهت ونظرت حولها في الغرفة ذات الجدران الشاحبة والمفروشات الداكنة اللون، قالت:«اين انا؟»

«في شقتي. لم استطع ان آخذك الى منزلك، فضلوعك لن تتحمل الرحلة.»

نظرت الى النافذة، وظهرت ابتسامة صغيرة على شفتيها، قالت:«كان عليّ ان اعلم. غرفة نومك ذات المنظر الرائع.»

ابتسم قائلاً:«هذا صحيح.»

مررت يدها فوق الغطاء الناعم وقالت ببطء:«هذا سريرك. اليس كذلك؟ اين نمت؟»

اشار الى الكرسي وقال:«هنا، امامك.»

تجهم وجهها وقالت:«كيف وصلت الى هنا؟ وما الذي حدث للشاحنة.»

لمعت صورة الشاحنة مرتطمة بالشجرة في فكر جوشوا:«لا تقلقي على الشاحنة. احضرتك الى هنا بسيارتي. عندما لم تأتِ، قلقت عليك.»

اغمضت عينيها، وعاودتها كل الذكريات، الرسالة، الطريق والمطر.. الحزن والأسى امتزجا مع الالم الذي يلفها. كيف يمكنه ان يقول لها لا تقلق بعد ان ارسلوا

لها تلك الرسالة. قالت:«عليّ ان اقلق، لذلك اخبرني ما الذي حدث.»

«اصدمت بشجرة عبر التلة وأنت قادمة الى هنا. لم يكن يوماً مناسباً للقيادة عبر طرقات موحلة ومنزلقة.»

رأت كاترين ملامح الضيق على وجهه، فاستجمعت شجاعتها وحدقت به وهي تقول:«وماذا كنت تتوقع مني ان افعل بعد ان وصلتني الرسالة؟ ادعك تأتي الى هناك وتأخذها؟ ام اجعل القرية كلها تراقب الشاحنة يستعيدها البنك؟»

«عما تتحدثين؟»

«اين هي ثيابي، الرسالة في جيب سترتي. لا تقل انها ليست من مصرفك؟»

وجد الكيس الذي اعطته إياه الممرضة. امسك بالرسالة فأخذت تراقبه وهو يقرأها.

«انها رسالة رسمية.»

«اعلم ذلك وأعلم ماذا تعني. وعدتك ان اعيد الشاحنة ان لم ندفع اي فاتورة.»

«كان عليك ان تعلمي ان هناك خطأ ما. هذه رسالة كإنذار اخير.» وأشارت الى الكلمات في اعلى الرسالة:«شخص ما ضغط على المفتاح الخطأ في جهاز الكمبيوتر. من المفترض ان تصلك رسالة اولى لأنك لم تدفعي فاتورة واحدة. وستسألك الرسالة بلطف ان كان هناك أي مشاكل لكي نتمكن من إعادة جدولة الدفع. لمَ لم تعلميني؟»

امتلأت عيناها بالدموع:«لم استطع. بقيت شاحنة ساعي البريد معطلة بسبب الوحل حتى البارحة.» مسحت دموعها بفقدان صبر، وستلقت تحدق في النافذة متجنبة النظر الى عينيه وهي تشعر بأنها حمقاء.

سأل بضيق:«الهذا السبب كنت على الطريق البارحة، من دون النساء ولا المحاصيل، لأنك اعتقدت اننا سنستعيد ملكية الشاحنة.»

اومأت برأسها موافقة وسقطت دمعة على خدها:«والآن لقد حطمتها.»

«لا تقلقي، لديك تأمين عليها. سأرسل من يقطرها الى البلدة.»

«كان عليّ ان افكر بذلك.» وحركت يديها امامها، متمنية ان لا تلتقي بنظراته. حدقت الى الخارج من دون ان تلاحظ ان اشعة الشمس تشرق على الجبال. «كانت لا تزال تمطر في الوادي عندما غادرت. كل الحصاد تفسد في الحقول، ولم يكن هناك اي شيء نستطيع القيام به، ثم وصلت الرسالة، فانطلقت من دون ان افكر.»

جلس على حافة السرير ومسح دمعة عن خدها بابهامه وقال:«انت على قيد الحياة وسالمة، تقريبا سالمة. وهذا هو المهم.»

«وماذا عن دفع الفواتير. لقد فشلنا في دفع فاتورة، وان لم يتوقف المطر لن نتمكن من دفع فاتورة اخرى وعندها...»

«عندها سنجلس ونتحدث عن الامر. قد نبدل موعد الفواتير او معدل الفائدة. لا نريد استعادة الشاحنة. نريدك ان تنجحي.»

قالت وهي تجلس متكئة على مرفقيها:«ربما يجب ان اذهب الآن. فكل شخص هناك سيقلق عليّ.»

اومأ برأسه:«سأرسل من يخبرهم في القرية انك بخير. وبإمكانهن ان يأتين الى زيارتك بعد عدة ايام.»

«عدة ايام؟» نظرت حولها في الغرفة، وكأنها تراها للمرة الاولى.

«لن تذهبي الى أي مكان حتى تشفى ضلوعك. وبعد ذلك فكرت انني قد اتحدث معك لتبقي هنا الى الابد.»

«هنا في المدينة.»

«انها مجرد فكرة.»

«وماذا ستشعر ان سألتك ان كنت ترغب بالبقاء معي في المزرعة؟»

سأل وقد لمعت عيناه:«هل تطلبين يدي للزواج؟»

لمحت ابتسامة على فمه، قالت:«لا، وأنت؟»

هز رأسه وهو يقول:«بالطبع.»

فتحت فمها لتتكلم، لكنها لم تستطع ان تقول اي كلمة. وضعت يدها على ذراعه:«انت لا تعني ذلك. لقد شعرت بالخوف عليّ عندما اعتقدت انني ميتة. لكنني على قيد الحياة. وبعد فترة قصيرة سأصبح بخير وسيذهب كل منا في طريق مختلفة. لقد انقذت حياتي وأنا ممتنة لك، لكن...»

«لكن ليس الى هذه الدرجة.»

«صحيح... لا. لا تتزوج الناس لأنها تشعر بالامتنان يجب ان تغرم ببعضها كي تتزوج.»

اغمضت عينيها وغابت بنوم عميق.

استيقظت جائعة وعطشة. احضر لها الحساء والشاي وراقبها تأكل، سألته:«من اين حصلت على هذا الطعام؟ والى اين تذهب؟»

«سأذهب الى البنك لمدة ساعة. فقط كي اتأكد من حسن سير العمل. هذا الهاتف، فإن احتجت إلي، اتصلي بهذا الرقم.»

نامت طوال فترة بعد الظهر، وعندما استيقظت كان الظلام قد عمّ المدينة. رأت جوشوا يقف قرب النافذة مرتديا قميصا قطنية وبنطال جينز.

سألها:«جائعة؟»

ابتسمت له ومدت يدها إليه. جثى قربها على الارض وعلى رغم الظلام كانت ترى حرارة حبه في عينيه واهتمامه.

قال:«حان وقت العشاء.» وذهب الى المطبخ. عاد حاملا صينية عليها خبز اسمر وفاصوليا.

قالت معترضة:«هذا طعامك في حالات الطوارئ.»

تذكرت ما قاله لها في زيارتها السابقة.

لست بحاجة لاحتفظ بها بعد الآن. سأعود الى بلادي في نهاية الشهر القادم لقد حصلت على الترقية.»

ابتلعت الطعام رغم الغصة في حلقها. قالت:«هذا رائع.» شعرت بالفخر من رد فعلها السريعة، لكنها

تعمدت اخفاء ارتجاف يديها. في اللحظة التي شعرت بها انها تتحسن، شعرت بأنها اسوء، وأسوء بكثير. ضغطت بيدها على قلبها. يقولون ان العظام تنكسر وليس القلوب، لكنهم مخطئون.

سألها بقلق:«ما الأمر؟ هل تؤلمك ضلوعك؟»

«اعتقد ذلك.»

قال بهدوء:«اريدك ان تأتي معي.»

سألته:«الى اين، الى بوسطن؟»

«لا داع لنعيش في المدينة. بإمكان الناس العيش خارج المدينة والانتقال اليها اثناء العمل.»

«هل عشت مرة في ضواحي المدن؟»

«لا، لكن رأيت انها محاولة جيدة للتأقلم.»

حاولت ان تفكر بمنطق، قالت:«كيف بإمكاني ان استعمل كل شيء تعلمته. من تطعيم وتحسين الانتاج في ضاحية ما؟ كما واني لست مستعدة بعد للعودة الى الولايات المتحدة. لا استطيع تحمل رؤية كيف يعيش والديّ او ماذا حدث لأرضنا. ليس بعد.»

«سأنتظر.»

تنهدت. فلديه تلك النظرة المصممة في عينيه. تذكرت كيف انه يحصل على ما يريده. بالانتظار بصبر. لم يتحدث عن العودة الى البلاد او الزواج. انهت تناول عشاءها. فحملها الى الشرفة ووضعها على المقعد الطويل ووضع غطاء عليها.

غادر جوشوا عند الصباح وقد احضر لها قطعة

توست ووضع الهاتف قربها. قالت وهي تمسك روب المستشفى:«اريد ان اخلع هذا الروب.»
«ثيابك في ذلك الكيس، لكن لا اعتقد انك تريدين ارتداءها. كما عليك ان تبقي في السرير.»
نظرت الى خزانته وقالت:«هل لديك اي قميص قديم استطيع ارتداءه؟»
«افعلي ما تشائين.» قبلها بنعومة وغادر.
تفاجأت:«هل تأتي الى المنزل عند الغداء.»
«الان اصبحت افعل.»
بعد رحيله استحمت وغسلت شعرها ببطء وحذر. بعد ذلك ارتدت قميصاً من خزانته وقد وصلت تقريبا الى ركبتيها. شعرت بالتعب مما فعلته فعادت الى السرير ونامت.
استيقظت عندما سمعت الباب يفتح، ثم وقع اقدام وهمسات. رأت جاكيندا، دونا بلانكا ومرغريتا والاخريات. وقف جوشوا وراهن، وهو يبدو سعيدا.
قالت وهي تنهض من السرير:«كيف اتيتن الى هنا؟»
تجمعن قربها ليتأكدن انها بخير، كان جوشوا ينظر إليها وكأنه يخاف ان تنكسر. ابتسمت له. اخبرنها انهن وصلن الى البلدة مع طوماس وقد شعرن بالقلق عليها حتى وصلت رسالة السيد بنتلي. وهن الآن سعيدات لرؤيتها. بعد الاطمئنان على صحتها غادرن بسرعة وقد عرض جوشوا عليهن ان يأخذهن الى السوق بنفسه.
وقف عند حاجب الباب، قال وهو يبتسم:«آسف بشأن

الغداء، لقد وصلن الى البنك وأنا اغادر. فلم احظ بأي وقت لأحضر لك اي شيء.»
اكدت له:«لا تقلق، فيوجد هنا ما يكفي لجيش.»
قال:«سأعود الى المنزل بقدر ما استطيع من السرعة.»
خفق قلبها بسرعة، المنزل. لديها رنة خاصة بها. احتاجت لساعة ونصف، وقد ارتاحت اكثر من مرة، حتى تمكنت من اعداد فطيرة بالجبن وسلطة للعشاء. عندما رجع جوشوا في المسا وقف عند مدخل الباب ينظر إليها، فرفعت الملعقة لتحرك السلطة. وقف وراءها ووضع ذراعيه حول خصرها.
«ألم اقل لك انه ليس من المفترض ان تفعلي اي شيء يحتاج الى تركيز او حركة ناشطة؟»
«لا يحتاج الطهي الى اي تركيز. وكنت اتحرك ببطء شديد. لقد احتجت الى ساعات لأعد هذا العشاء البسيط.»
قال وهو يلمس عنقها بشفتيه:«قد اعتاد على هذا.»
«انها مجرد فطيرة بالجبن.»
«ليس هذا ما قصدته.»
تناولا الطعام على الشرفة. اخبرها عن الخراف التي حصلت عليها الخياطة وان هناك مجموعة من صانعي القبعات يطلبون قرضا. وشربا القهوة وغرقا في صمت مريح. وقفت كاترين ونظرت الى غرفة الجلوس.
«اين كنت تنام؟»
«على الارض في كيس النوم.»

«سأنام على الارض. لقد ابعدتك عن سريرك لعدة ايام. وحان الوقت لتعود إليه.»

«لا. لن يحدث ذلك.»

«لقد اصبحت افضل بكثير.»

«تبدين افضل، لكنك لم تصبحي قوية كفاية.» وضع فنجانه وسار نحوها. رفع ذقنها بإصبعه وقال:«لم انت على عجلة؟ تبدو النساء بخير من دونك، والشاحنة يتم تصليحها، وحتى ذلك الوقت سيحضرن مع طوماس.»

«اشعر بالذنب، لا يسمح للمزارعين بالمرض او التعطيل. اشعر بالقلق.»

في الليلة التالية احضر جوشوا معه نباتات من الفريز وقد ارسلتها لها النساء مع وعاء من الطين. قال:«لاحظن ان شرفتي تطل على الغرب، وهي مناسبة جدا للفريز.»

مدّت كاترين يدها في التراب الرطب وقالت:«هن على حق.» قامت بزرع الفريز وهي تشعر براحة كبرى.

مرّ اسبوع كامل. وأرسلت النساء نباتات من البندورة وبذور الكوسى حتى اصبحت الشرفة مليئة بالنباتات. قالت له كاترين ان يخبرهن كي يتوقفن عن ارسال النباتات. لذلك ارسلن لها الطعام، فطهت كاترين المزيد من الاطعمة.

سألته في احدى الامسيات:«هل ستسقي هذه النباتات عندما ارحل؟»

«إذا كنت ستأخذينها عندما اسافر.»

هزت رأسها. لم ترد ان تعلم متى سيحدث ذلك. لم يسألها مرة ثانية لتعود معه. ولم يتحدث عن العودة الى بوسطن، لكنها فكرت انه لن يمكث هنا اكثر من عدة اسابيع بعد.

اخيرا اعترف انها اصبحت بخير وتستطيع المغادرة. عاينها الطبيب للمرة الاخيرة. كانت لا تزال تشعر بالألم ان تحركت بحركة مفاجئة، لكن عاد اللون الى خديها. ارتدت ثيابها ووقفت تنظر حولها في الشقة والى الشرفة التي امضيا فيها معظم الوقت.

وقف جوشوا عند الباب. الألم في صدره جعله يتساءل ان كان لديه اضلع مكسورة ايضا. الاسابيع الماضية كانت تجربة عما ستكون حياتهما، وهو يريد المزيد، حياة بأكملها. اوصلها الى بالمور، وعندما وصلا الى المكان الذي انزلقت فيه نظرا الى بعضهما، لكنه لم يتوقف. كما وانه لم يتأخر في المزرعة. قال لها انه سيخبرها عن تقرير علماء التربة عن المنجم وقالت له انها ستراه في البنك. قبلها على خدها وأسرعت بالعودة الى منزلها.

سارت داخل منزلها لتفتح النوافذ. شعرت بالراحة لأنها في منزلها وانها قادرة على السير في الحقول. لكن عند المساء، ومن دون ان تنتبه وضعت طبقين على الطاولة وفجأة امتلأت عيناها بالدموع. وضعت رأسها على طاولة المطبخ وبكت بدون اي سبب.

قالت لنفسها انها تشعر بالغربة والوحدة والعزلة بعد

الحادث واعترفت. لم تفعل شيئاً حيال ذلك. فماذا تستطيع ان تفعل؟ ان تخبره انها تفتقده وإنها تحبه؟ عندما ذهبت الى البلدة، بحثت عنه في البنك وعندما رأته ابتسم لها وأسرع بالذهاب. لا بد انه منشغل جداً قبل رحيله. يبدو قلقاً ومتعباً وهناك دوائر تحت عينيه. لكنها هي ايضا لا تبدو بخير.

اقتربت جاكيندا منها وأخبرتها ان الشاحنة اصبحت جاهزة، وسيحضرها الى السوق الاسبوع المقبل. وهي من اخبرتها متى سيغادر.

وفي الحقل بدت جاكيندا حائرة وسألتها: «ماذا به السيد بنتلي حتى لم يسألك الزواج منه بعد؟» لم تعرف كاترين بما ستجيبها، سمعتها تتابع: «هذه هي الطريقة الصحيحة، ثم سيأخذك معه.»

قطفت كاترين بعض حبات الفريز وقالت: «ربما يعتقد انني لن اذهب معه.»

«ما هذا الكلام السخيف. أي شخص يرى انك تحبينه.»

«احياناً الحب لا يكفي. وكما تعلمين، السيد بنتلي يعمل في المدينة ويعيش هناك، ايضا. لقد رأيت شقته. هل تعتقدين انني استطيع العيش في مثل ذلك المكان؟»

اجابت جاكيندا: «ان كنت تحبينه.»

«اخشى انني لا احبه الى هذه الدرجة.»

قالت جاكيندا: «هناك طريقة واحدة لمعرفة الامر.»

انتظرت كاترين، لكن جاكيندا لم تقل المزيد.

في اليوم السابق لرحيله لم تحصل كاترين على النباتات

من على شرفة جوشوا، ولم تسمع منه اي نتائج عن المنجم. لذلك وبدلاً من العودة مع النساء، استجمعت شجاعتها وذهبت الى شقة جوشوا. لم يكن هناك، لكن تذكرها الحاجب وأدخلها الى الشقة. وجدت غرفة الجلوس مليئة بالصناديق، ذات الصناديق التي ساعدته ليفتحها منذ وقت قصير.

جلست على ارض الشرفة في الظلام. حاولت ان تقرر ما تقوله. تصور نفسها في المزرعة التي نشأت فيها، لكن بالكاد تستطيع تخيل المنزل والحقول. لقد مضت سنتان على رحيلها وهذه فترة كافية للحزن على شيء خسرته. تعلم جوشوا ان يضع خسارته وراءه وان يتابع حياته. الم يحن الوقت لها لتفعل مثله؟

فتح الباب الامامي. تعثر جوشوا بصندوق فشتم. وقفت وانتظرت حتى اعتادت عيناه على الظلام.

قال: «لم اكن اعلم ان هناك احدا ما.»

«ادخلني الحاجب. لم ارد ان ترحل من دون ان...» فجأة لم تستطع ان تكمل.

مر في الغرفة وانضم إليها على الشرفة: «من دون ان تودعيني، بالطبع. رغبت في الذهاب الى السوق، لكنه اعدوا حفلة لوداعي بعد العمل. ثم تأخر الوقت، فاعتقدت انك غادرت.»

نظرت الى الجدران وقالت وهي تشعر بالم في صدرها: «لقد اشتقت إليك واشتقت الى هذا المكان.»

حدق بها قائلاً: «اعتقدت انك تكرهين هذا المكان.»

«هذا ما اعتقدته، ايضاً. لكنني اكتشفت انني افضل ان اعيش في المدينة معك على العيش في اي مكان آخر من دونك.»

قال وهو بالكاد يصدق:«حتى بوسطن؟» خائفاً ان يصدق ما يسمعه.

شعرت بنفسها تبتسم، فهي لم تبتسم منذ ان رحلت من هنا، «حتى بوسطن.»

ضمها إليه وقال:«هل هذا طلب زواج؟»

وضعت ذراعيها حول رقبته:«اعلم ان عليّ الانتظار حتى تطلب يدي من والدي. لكنني اميركية وأتولى مهام نفسي بنفسي.»

تمتم:«هذا من حسن حظي.»

«لست حرة لمدة ثلاثة اشهر بعد. حتى ذلك الوقت مازلت انتمي الى بيس كرويس.»

تراجع ليرى السعادة تشع من عينيها. لو انها لا تعاني من كسور في ضلوعها لكان حملها ودار بها في المكان.

«احتاج لثلاثة اشهر لأجد مكاناً لنعيش فيه. مكان مع حقل او بستان وقريب من المدينة.»

قالت:«جوشوا، الامر غير مهم. وأنا اقصد ذلك. سأعيش في اي مكان معك. اتيت الى هنا لأعلم الناس كيف يزرعون. لكنني تعلمت منهم اكثر، كيف اتخلى عما خسرته، وكيف احب. لا يمكنك الحصول على كل شيء. فقط معظم الاشياء.» وضمته إليها.

قال وهو يبتسم:«سأعطيك ثلاثة اشهر كي تشفي وتحضرين للزفاف.»

«سيتم ذلك في معبد القرية مثل زفاف ماجدلينا.» قالت وهي تتجه نحو غرفة النوم:«لم لا تنام بقربي، فقط لتضمني إليك.»

قال:«آه، كدت ان انسى.»

«ماذا؟»

«تقرير علماء التربة.»

«لا بد انها اخبار غير سارة وإلا ما كنت لتنسى.»

«اخبار سيئة وجيدة في ذات الوقت. السيئة ليس هناك اي فضة في كل الحجارة التي اخذتها. لكن الخبر الجيد ان الحجر الذي التقطتيه هو من الزنك، بالتحديد العقيق. لديك خبرة في الحجارة.»

«لماذا، هل هي ذات قيمة؟»

«هذا صحيح إن كان هناك كمية كافية منه. لذلك سيرسلون فريقا للقيام ببعض الابحاث.»

قالت واضعة خدها على خده:«اذن لقد نجح الامر.» تنشق عطر شعرها، غير قادر على تصديق ما يجري معه، سألها:«أي امر؟»

«النوم فوق قطعة من قالب الزفاف. لقد حلمت بك تلك الليلة.»

قبل عينيها وقال:«هل ستحلمين بي الليلة؟»

قالت واعدة:«كل ليلة، حتى عودتك.»

ساد الضجيج في القرية عندما ظهرت العروس وهي

تسير قرب والدها. ثوبها من الساتان الابيض وقد ارتدته امها وجدتها من قبل.

تمت المراسيم في اللغة الاسبانية، وتبادل العروسان قسم الزواج، وكانت قبلتهما مليئة بالشوق والوعود.

اقيمت حفلة الاستقبال امام منزل جاكيندا وقد نصبت خيمة كبيرة لتحمي الضيوف من الشمس وليبدو الاحتفال في ابهى حلة.

قدمت كاترين العجوز بادرو الى والديها، قالت:«انه اغنى رجل في البلدة، مع الاسهم التي يملكها من منجم الزنك.»

نظر بادرو حوله وقال:«لا يشتري المال السعادة. كنت سعيدا قبل استعادة العمل في المنجم. ومازلت سعيدا، لكن لأجلهم. المال من حصص اباتهم وجدودهم بدلت حياتهم. عادوا الى العمل في القرية وللبقاء قرب عائلاتهم.»

في الجانب الآخر من الخيمة امسكت جاكيندا بجوشوا وقد كانت سعيدة جدا. قالت له:«سيد بنتلي، اتذكر اليوم الاول الذي رأيتك فيه تحمل المانغو في يدك. عندها علمت انك العريس المناسب للأنسة. ومنذ ذلك الوقت عملت بجد كبير لتحقيق هذا النهار.»

شعر جوشوا بالسعادة لأنه مازال يتذكر ما يكفي من الاسبانية كي يشكرها على جهودها. وعندما بدأت الفرقة الموسيقية بالعزف، ابتعدت عنه لتنضم الى الراقصين. نظر جوشوا الى كاترين فرأها تقف بين والديها. وعندما

انضم إليهم، سحبت أمها زجاجة من حقيبة يدها وقدمتها لكاترين.

قالت:«انها مجرد تربة من المزرعة، لقد احتفظت بها لك. اعتقدت انك قد تريدينها من اجل اسباب عاطفية.»

امسكت كاترين بالزجاجة وقالت لجوشوا:«انظر، يمكنني ان امزج هذه التربة مع تراب الحديقة في منزلنا الجديد.»

قالت أمها:«نعلم انك فكرت من الخطأ ان نبيع الارض.»

هزت كاترين رأسها، غير قادرة على الكلام.

فتابع والدها:«لكننا فعلنا ما اعتقدنا انه الافضل.»

ضمت كاترين امها إليها بشدة وقالت:«اعلم ذلك. وأي شيء افضل من بعض التراب والكثير من الذكريات التي قدمتماها لي في طفولتي. لا احد يستطيع ان يأخذ ذلك مني.» نظرت الى عريسها وتابعت:«اسألي جوشوا، لقد سمع عن المخزن والحقول والكنزات التي كنت تحيكينها لي حتى لم يعد باستطاعته سماع المزيد.»

قال يؤكد لها:«هذا غير صحيح. يمكنني سماع المزيد. ما رأيك برقصة سيدة بنتلي؟»

نظرت حولها، وقالت:«من، انا؟»

ضمها بين ذراعيه. توقفت الفرقة الموسيقية عن العزف، وبدأ عزف الغيتار بأغاني عاطفية باللغة الاسبانية. قال هامسا:«هل اخبرتك عن مدى سعادتي في القدوم الى هذا البلد؟»

تمتمت:«لقد وجدت الكنز الذي كنت تبحث عنه طيلة حياتك؟»

قال وهو يضمها إليه اكثر:«انت على حق.»

توردت خداها:«قصدت المنجم.» ورفعت يدها لتنظر الى الخاتم الذي صنعه لها من الحجر الذي وجدته في المنجم.

«هذا ايضا، المنجم، والدي، نفسي وأنت، وليس من الضروري ان يكون هذا ترتيبها.»

ابتسمت له وقالت:«عرضت على والديّ صورة منزلنا الجديد. يعتقدان انني في هذه المساحة يمكنني ان ازرع من القش ما يكفي بقرتين وحصان او اكثر.»

نظر في عينيهاوقال:«اتركي مكانا للامة التي سأقدمها لك.»

«آه، جوشوا حقا؟»

«بالطبع، وهي بانتظارك لدى بائع الحيوانات. بالمناسبة من سيعتني بكل هذه الحيوانات؟»

فكرت للحظة وقالت:«الاطفال؟»

رفع حاجبيه وسألها:«وكم من الاطفال تريدين؟»

«آه، اربعة او خمسة.»

قبلها وقال:«من الافضل ان نبدأ بإنجابهم في اقرب فرصة ممكنة.»

تمت

www.fiifa.com Deprived of affection